AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

وصية يهودا بن تبون، لابنه شموئيل

"دراسة تحليلية نقدية"

د/ مصطفى مصطفى أبو عتمان رجب

قسم اللغة العبرية وآدابها
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

وصية يهودا بن تبون، لابنه شموئيل "دراسة تحليلية نقدية"

مصطفى مصطفى أبو عتمان رجب

قسم اللغة العبرية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: MostafaRagab.e20@azhar.edu.eg

ملخص:

تعد وصايا يهودا بن تبون لابنه شموئيل من أبرز الوصايا التي كتبت في الأدب العبري الوسيط، ويأتي هذا البحث ليلقي الضوء على هذه الوصايا والدوافع التي دفعت كاتبها إلى كتابتها؛ كما يهدف هذا البحث إلى بيان أبرز المضامين التربوية والتعليمة التي اشتملت عليها وصايا ابن تبون، وكذلك أبرز السمات الفنية التي ميزتها؛ كما يرمي هذا البحث إلى إبراز المؤثرات العربية والإسلامية في هذه الوصايا والتي جاءت نتيجة احتكاك اليهود بالفكر العربي والثقافة الإسلامية وتأثرهم بهما إلى أبعد حد.

الكلمات المفتاحية: الأدب العبري الوسيط، يهودا بن تبون، أدب الوصايا، شموئيل بن تبون، يهود الأندلس.

The Recommendations Of Yehuda bin Tibbon To His Son Samuel, A Critical Analytical Study

Mustafa Mustafa Abu Etman Ragab

Department of Hebrew Language, Faculty of Languages and Translation, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: MostafaRagab.e20@azhar.edu.eg

abstract:

The recommendations of Yehuda bin Tibbon to his son Samuel are among the most prominent recommendations written in medieval Hebrew literature. This research sheds light on these recommendations and the motives that prompted their writer to write them. This research also aims to clarify the most prominent educational and teaching contents included in bin Tibbon's recommendations, as well as the most prominent technical features that distinguished them; This research also aims to highlight the Arab and Islamic influences in these recommendations, which came as a result of the Jews' connect with Arab thought and Islamic culture and their influence on them to the greatest extent.

Keywords: Medieval Hebrew Literature, Yehuda bin Tibbon, Recommendations Literature, Samuel bin Tibbon, the Jews of Andalusia.

المقدمة

لا شك أن الأدب العبري قد تأثر في العصور الوسطى إلى حدٍّ بعيدٍ بالأدب العربي، ولا شك أيضا أن هذا الأثر قد امتد ليشمل فرعي الأدب: الشّعر والنثر. فعلى صعيد الشعر نجد الأوزان والبحور والأغراض الشعرية العربية ماثلة للعيان في الشعر العبري؛ وكذلك النثر، لا يبتعد كثيرا؛ حيث نجد الأغراض النثرية؛ أو بالأحرى الأجناس النثرية، تقفوا هي الأخرى خلف نظائرها في الأدب العبري، وتسير وراءها خطوةً بخطوةٍ.

لقد استطاع اليهود أن ينسجوا ببراعة منقطعة النظير على منوال النثر العربي؛ ومن أمثلة ذلك فن المقامات العربية، الذي أبدعه العرب، وأغرم به اليهود، وولعوا به، وكتبوا على شاكلته الكثير والكثير من المقامات، كان أبرزها "تحكموني" "תחכמוני" ليهوذا الحريري[١]. وكذلك فن "القصة على لسان الحيوان"، حيث تأثروا بكليلة ودمنة عن طريق ترجمة عبد الله بن المقفع، وظهرت على شاكلته كتب مثل: "المثل القديم" "משל הקדמוני" لسليمان بن سهوله [٢] وغيره.

ولا يقف الأمر عند حد المقامة والقصة على لسان الحيوان، وإنما يتعدى ليشمل أجناس نثريةً كثيرةً؛ منها على سبيل المثال: "أدب الوصايا"؛ وهو نوع من الأدب الاجتماعي والتربوي،

---

[١] يهودا الحريزي: من مواليد طليطلة فيما بين سنوات ١١٦٥ _ ١١٧٠م، وتوفي سنة ١٢٣٥م في بروفانسا. وقد كتب الحريزي مجموعة مقامات على غرار المقامات العربية تعد هي الأشهر في الأدب العبري، لم يسبقه أحد بمثلها، كما أنه نقل إلى العبرية شطرا كبيرا من مقامات الحريري البصري.

- عبد المحسن، مناع حسن: المقامة بين العربية والعبرية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص ٧٧.

[٢] سليمان بن سهوله "שלמה בן סהולה": ولد سنة ١٢٤٤م في مدينة وادي الحجارة في قشتالة، عاصر فترة حكم الملك ألفونسو العاشر وولي عهده سانشو الرابع. تتلمذ على يد الحاخام موسى بن شمعون، ومن أبرز مؤلفاته كتاب المثل القديم "משל הקדמוני" وتفسير لسفر نشيد الأناشيد.

_ رجب، مصطفى مصطفى: كتاب المثل القديم لإسحاق بن سليمان بن سهوله "دراسة نقدية وترجمة"، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٢٠١٤م، ص ١٤.

من شخصية اعتبارية إلى من هو دونها؛ ويكون غالبا بدافع الشفقة أو بدافع الإرشاد والتوجيه؛ ويكون في الغالب من الأب إلى ابنه، يُلخّص له تجربته في الحياة، ويقدمها له في قالب أدبي طنان.

والوصية موجودة في المقرا وفي التلمود؛ غير أنها لم تأخذ هذا الشكل الفني إلا بعد مخالطة اليهود للعرب وللأدب العربي؛ ولعل أبرز وصية كتبت في هذا العصر على نسق الوصايا العربية كانت وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل؛ وهذه الوصية ليست مجرد وصية عادية؛ وذلك لأن كاتبها ليس شخصية يهودية عادية، وإنما هو يهودا بن تبون، شيخ المترجمين اليهود في العصر الوسيط؛ وقد كتبها لابنه شموئيل[٣] مترجم "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون وغيرها من المؤلفات المهمة؛ إذا فهذه الوصية مهمة على مستوى الموصِي وعلى مستوى الموصَي؛ كما أنها تكتظ بالقيم الاجتماعية والأخلاقية، التي نادرًا ما نقابلها بهذا النضج، وبهذه الكثافة، وبهذه العقلية الواعية المثقفة في غيرها من الوصايا العبرية، التي كُتبت في ذلك العصر؛ وهي مع كل هذا، توقفنا على كثير من الأسس التربوية والتعليمة ليهود ذلك العصر، وعلى رأسها بالطبع دراسة اللغة العربية، التي كانت سبيلهم إلى الوصول إلى المعالي وأرفع الدرجات.

[٣] ولد شموئيل بن تبون سنة ١١٥٠م في إسبانيا وتوفي سنة ١٢٣٠م، درس الفلسفة والطب واللغتين العبرية والعربية على يد والده يهودا بن تبون. عمل شموئيل في مجال الترجمة، ومن أبرز ترجماته ترجمة كتاب "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون.

- رجب، مصطفى مصطفى أبو عتمان: ترجمتا شموئيل بن تبون ويهودا الحريزي لكتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون "دراسة مقارنة"، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ملحق المجلد ٣٥، ٢٠٢٠م، ص ٤٤.

تساؤلات الدراسة:

وتجيب هذه الدراسة على العديد من التساؤلات:

أولا: ما الوصية، وكيف تطورت في الأدب العبري حتى تبلورت جنسا أدبيا مستقلا في العصر الوسيط تحت تأثير الأدب العربي؟

ثانيا: من يهودا بن تبون، وما هي الدوافع التي دفعته لكتابة هذه الوصية لابنه شموئيل بن تبون؟

ثالثا: ما أبرز المضامين التربوية التي حوتها وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل؟

رابعا: ما أبرز المضامين التعليمية التي تضمنتها وصية يهودا بن تبون، وما الموضوعات التي ركّز عليها وأولاها جانبا كبيرا من اهتمامه؟

خامسا: ما أبرز السمات والخصائص الفنية والأسلوبية التي ميزت وصية يهودا بن تبون؟

سادسًا: ما أبرز المؤثرات العربية والإسلامية التي تأثرت بها وصية يهودا بن تبون؟

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي؛ وذلك للوقوف على أبرز المضامين التربوية والتعليمية التي تضمنتها الرسالة، وكذلك للوقوف على أبرز سماتها الفنية والأسلوبية؛ كما تقوم أيضا على المنهج المقارن من خلال ترجمة بعض النماذج والشواهد من داخل الوصية؛ وكذلك من خلال بيان بعض المؤثرات العربية والإسلامية التي عملت في الوصية، وتركت أثرها فيها.

الدراسات السابقة:

رغم ما تمثله وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل سواء من الناحية الأدبية أم من الناحية التاريخية والاجتماعية إلا أنني لم أعثر على دراسة مستقلة تناولت جوانب هذه الوصية

المتعدد، خصوصا التربوية والتعليمية وكذلك دراسة شكلها وخصائصها الفنية والمؤثرات العربية والإسلامية فيها، وجل ما عثرت عليه دراسة تتعلق ببعض جوانب الوصية، هي:

אגו-דוקומנטים בצוואות המוסר، אבריאל בר-לבב، בתוך: העבר ומעבר לו، עיונים בהיסטוריה ובפילוסופיה، האוניברסיטה הפתוחה، עמ' 263 _ 282.

وقد تناول فيه الباحث بعض جوانب من الوصية، باعتبارها وصايا شخصية، وبالتالي فهي تحوي بداخلها على بعض المركبات التي يمكن عدّها ضمن أدب "السيرة الذاتية".

محاور الدراسة:

وتنقسم هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة محاور على النحو الآتي:

التمهيد: وتناول فيه البحث تعريف الوصية في الأدبين العربي والعبري، ونشأتها فيهما وتطورها، ووصولها إلى مرحلة النضج والكمال؛ كما يتناول التمهيد أيضا التعريف بيهودا بن تبون، وأبرز أعماله، ودوافعه لكتابه هذه الوصية لابنه شموئيل.

المحور الأول: بعنوان "المضامين التربوية في وصية يهودا بن تبون"؛ ويتناول مجموعة من وصايا يهودا ابن تبون لابنه شموئيل، والتي يرشده فيها إلى بعض السلوكيات الحميدة، وينهاه فيها عن بعض السلوكيات الذميمة؛ مثل وصيته له بالحرص على تحصيل العلم في فترة الصبا، ونهيه إياه عن رفقة السوء، وعدم الجلوس في الطرقات...إلخ.

المحور الثاني: بعنوان "المضامين التعليمية في وصية يهودا بن تبون"؛ ويتناول عددا من الوصايا، التي يرشد فيها يهودا بن تبون ابنه شموئيل، إلى بعض الأمور المتعلقة بأساليب التعلم وتحصيل العلم؛ مثل وصيته له بالمداومة على طلب العلم، والحرص على مراجعة كل ما يكتبه بشكل دائم، وكذلك الاحتراز من الوقوع في الأخطاء النحوية والإملائية...إلخ.

المحور الثالث: بعنوان "الخصائص والسمات الفنية والأسلوبية"؛ وذلك نحو بساطة الأسلوب حتى تصل مباشرة إلى عقل الموصِي وقلبه، والإكثار من الاستشهاد بالشعر، وتنويع الأساليب كالنداء والأمر...إلخ.

المحور الرابع: بعنوان "الأثر العربي والإسلامي"؛ ويأتي هذا المحور ليلقي الضوء على بعض المؤثرات العربية والإسلامية التي عرفت سبيلها إلى وصية يهودا بن تبون، وذلك من خلاله اطلاعه العميق على الثقافة العربية الإسلامية، وتأثره الشديد بمقوماتها وأفكارها.

رابعا: الخاتمة والنتائج.

خامسا: المصادر والمراجع.

التمهيد

تعريف الوصية:

جاء في تهذيب اللغة: "وصَى الشيء يصِي، إذ اتَّصَل. ووصَاه غيره يَصِيه: وَصَله... والوصيّة: ما أَوصيتَ بِه، وسُميت وصيةً لاتصالها بأمر الميت"[٤].

وفي المعجم الوسيط: تواصى القوم أوصى بعضهم بعضا، والنبت اتَّصل... والوصية ما يوصى به، والجمع وصايا[٥].

والوصايا فن من فنون القول، يُقال نثرا كما يقال شعرا؛ يتوجه فيه شخص معتبر إلى قومه، أو أب إلى ابنه، أو أم إلى ابنتها، أو معلم إلى تلميذه، أو صديق إلى صديقه، أو قريب إلى قريبه، ببعض الأوامر والنّواهي، الأخلاقية، أو التربوية، أو الاجتماعية، المستمدة من التجربة العملية والخبرة النظرية؛ والتي يوجه فيها الموصِي الموصَى بوسائل إقناعية متعددة، وبأسلوب فني مؤثر، إلى ضرورة الأخذ بها، وتنفيذها، وعدم التخلي عنها؛ مدفوعا إلى ذلك بدافع المحبة والشفقة؛ والتي قد تصحب بقرب المنية، أو بالسفر وتنائي الديار[٦].

---

[٤] الهروي، محمد بن أحمد بن منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١٢، ص ١٨٧.

[٥] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج ٢، ص ١٠٣٨.

[٦] هذا التعريف مستمد من عدّة تعريفات، وردت متفرقة في عدد من المراجع، منها على سبيل المثال:

(أ) خفاجي، عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٥٨م، ص ١٥٢.

(ب) الجندي، علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م، ص ٢٦٨.

(ج) النجار، محمد رجب: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابية، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، ص ٥٣.

وقد عد بعض الباحثين الوصية نوعًا من أنواع الخطب؛ فكلاهما يرميان إلى التأثير على المتلقي وتوجيهه إلى سلوك ما؛ غير أن الخطبة تكون أمام جمع من الناس، أما الوصية فإنها تكون في الغالب موجهه إلى شخص معين في زمن معين[٧].

وللوصية تفريعات كثيرة ومتنوعة، غير أن أصدقها عاطفة، وأغزرها نصحا، وأشدها إلحاحًا لقبول الأوامر والابتعاد عن النواهي، هي تلك الوصايا التي تصدر من الآباء إلى أبنائهم[٨]، خصوصًا عندما يُدبر العمر، ويُقبل الموت، ويُوقن الأب بدنو الفراق، الذي لا يعقبه تلاق؛ هنالك يأخذ الأب نفسه بأن يلخص لابنه تجربته في الحياة، ويضع له منهجا ودستورا يسير وفقه من بعده، يُقيله في مواطن العثرات، ويشد من أزره في مواطن القوة؛ خصوصا إذا كان هذا الولد أهل للشفقة؛ كأن يكون صغيرا، أو وحيدا، أو صاحب علة، أو قليل الحيلة، أو ما إلى ذلك مما يكون مدعاة لمزيد من شفقة الأب على ابنه.

الوصايا في الأدب العربي:

يعد أدب الوصايا من الأنواع الأدبية القديمة في الأدب العربي، والأدب الجاهلي حافل بمثل هذا النوع من الوصايا؛ من ذلك على سبيل المثال، وصية ذي الإصبع العدوانيّ، لابنه أسيد، ووصية عمرو بن كلثوم لبنيه، ووصية أكثم بن صيفي التميمي إلى طيء، ووصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس[٩].

وقد اتَّسعت الوصايا بعد ظهور الإسلام، وتجاوزت الموضوعات التربوية والاجتماعية، وأصبحت تشمل مناحى كثيرة من مناحي الحياة؛ فهناك على سبيل كثير من الوصايا التي

---

[٧] ينظر: مناع، هاشم صالح: النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٠٧.

[٨] ينظر: الملحم، غازي: من أدب الوصية، مجلة بيادر، نادي أبها الأدبي، ع ٥٦، ٢٠١٤م، ص ١٥٨.

[٩] ينظر: مناع، هاشم صالح : النثر في العصر الجاهلي، ص١٠٩ _ ١٤٩.

وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمته؛ وهناك الوصايا التي وجهها بعض الخلفاء الراشدين إلى ولاة الأمصار، وقادة الجيوش، والقضاة؛ جنبًا إلى جنب وصايا الآباء للأبناء[١٠].

أما في العصر الأموي فقد توسعت الوصايا أكثر وأكثر، وتطرقت إلى موضوعاتٍ جديدةٍ لم تكن مطروقة من ذي قبل؛ وتقسم الدكتورة سهام الفريج الوصايا في ذلك العصر ثلاثة أقسام[١١]، هي:

(أ) الوصايا السياسية، مثل وصية معاوية لابنه يزيد، ووصيته لزياد بن أبيه.

(ب) الوصايا التربوية: مثل وصية المهلب بن أبي صفرة لبنيه، ووصية أشعب بن قيس لبنيه؛ ويدخل في هذا النّوع أيضا وصايا المؤدبين والمعلمين؛ مثل وصية عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده.

(ج) وصايا الكُتَّاب: وقد ظهر هذا النوع في نهاية العصر الأموي، وأشهرها على الإطلاق وصية عبد الحميد الكاتب؛ والتي أوردها صاحب كتاب "صبح الأعشى" كاملة[١٢].

وأهم ما تميزت به الوصايا في ذلك العصر هو سهولة اللفظ، وقوة العبارة، والتأثر الشديد بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة والتابعين[١٣].

أما في العصر العباسي فكان لاحتكاك العرب بالآداب الأخرى، وترجمة عيون الأدب الفارسي إلى اللغة العربية؛ خصوصا تلك التي تتعلق بملوك الفرس وبعاداتهم وتقاليدهم، مثل "خداي نامه" في سيرة ملوك العجم، و"آيين نامه" في عادات الفرس وآدابهم؛ كل ذلك كان له

---

[١٠] ينظر: الفريح، سهام عبد الوهاب: أدب الوصايا في العصر الإسلامي، المورد، وزارة الثقافة والإعلام – دائرة الشؤون الثقافية، مج ١٣، ع ٣، ١٩٨٤م، ص ٣ وما بعدها.

[١١] ينظر: المرجع نفسه، ص ١١ _ ٢٦.

[١٢] ينظر: المرجع نفسه.

[١٣] ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٧.

أثره في الأدب العربي عامة، وأدب الوصايا خاصة[١٤]. وقد تنوعت الوصايا حسب موضوعاتها في هذا العصر، فهناك وصايا الخلفاء إلى أبنائهم وولاتهم ووزرائهم وكتابهم، وهناك وصايا الحكماء والوعاظ والنساك والأدباء، وهناك وصايا الأصدقاء والصداقة...إلخ[١٥].

وقد سار الأدب الأندلسي على نسق الأدب المشرقي، وأخذ الأدباء والعلماء والخلفاء والوزراء والقضاة في الأندلس يتواصون في الأمور العامة والخاصة.

وانعكست الحضارة الأندلسية بجميع ظروفها وملابساتها على الوصايا الأندلسية، فعلى سبيل المثال أدت الظروف السياسية والعسكرية المتقلبة في الأدب إلى ظهور نوعٍ جديدٍ من الوصايا، وهي "الوصايا الحربية والعسكرية"، وقد سعى هذا النوع إلى التخفيف من وطأة الفتن والصراعات التي كانت دائرة هناك[١٦].

وبقيت إلى جانب ذلك موضوعات الوصايا القديمة، المطروقة في الأدب العربي؛ وإن أضفى عليها الأندلسيون طابعهم الخاص؛ وكان من أبرز تلك الوصايا هي الوصايا التربوية، والتي تمت معالجتها من النواحي الدينية، والأخلاقية، والتعليمية[١٧]. ويعد لسان الدين بن الخطيب (١٣١٣ _ ١٣٧٤م) من أبرز كُتّاب الوصايا في الأندلس على الإطلاق.

---

[١٤] ينظر: الفريح، سهام عبد الوهاب: الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٦، الرسالة ٣٢، ١٩٨٥م، ص ١١.

[١٥] ينظر: المرجع نفسه، ص ١٠.

[١٦] لمزيد من التفصيل في هذا الصدد، ينظر: بشري، بغدادي: الوصية في الأدب الأندلسي وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٠ / ٢٠١١م، ص ٣٣.

[١٧] لمزيد من التفصيل في هذا الصدد، ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٦.

الوصايا في الأدب العبري:

الوصية في العبرية هي "צוואה" والجمع "צוואות"، وتأتي بعدة معان، منها: التعليمات التي يعطيها الإنسان قبل موته شفاهة أو كتابة، ويتصرف الورثة وفقها بعد موته فيه وفي تركته، مثل ترتيبات جنازته، وتوزيع تركته وما شابه ذلك. ومنها: الأمر"צווי" والفريضة"מצוה". ومنها: مجموعة السلوكيات الحميدة والمواعظ الأخلاقية، التي أوصى بها قادة اليهود ذويهم (قبل موتهم أو قبل سفرهم لبلدة بعيدة)، وقيمتها الأدبية والأخلاقية عامة وسارية، وهي تعدّ لونًا من ألوان الأدب الوعظي "ספרות המוסר"[١٨].

وفي المقرا مجموعة من الوصايا الشفهية، والتي ترمي في الأساس إلى تقديم العظة الأخلاقية والسلوكيات الحميدة التي يقدّمها الأب لأبنائه لحظة الموت[١٩].

ومن أبرز وصايا المقرا، وصية يعقوب (عليه السلام) لأبنائه، في سفر التكوين (الإصحاح ٤٩)؛ حيث يذكر السفر أن يعقوب (عليه السلام) حينما أحسّ بدنو أجله؛ دعا جميع أبنائه، وأوصاهم ببعض الوصايا، وببعض ما سيؤل إليه حالهم في نهاية الزمان، كما أوصاهم أن يدفنوه في مغارة المِكافيلا، مع إبراهيم وإسحاق وسارة ورفقة وليئة(التكوين ٤٩/ ٢٩ _ ٣١).

ووصية يوسف لإخوته، حينما حضرته المنية، وأخبر إخوته بأنهم سيخرجون من أرض مصر، وأوصاهم بأن يأخذوا رفاته معهم متى خرجوا من أرض مصر (التكوين ٥٠ / ٢٤_٢٦). ووصية يشوع لبني إسرائيل للتمسك بشريعة موسى، وألا يحيدوا عنها يمينا ولا شمالا، وألا يتبعوا آلهة الأمم التي يبقون معهم، ولا يحلفوا بها ولا يعبدوها...إلخ (يشوع،

---

[١٨] אבן שושן، אברהם: המלון החדש "אוצר של הלשון העברית הספרותית، המדעית והמדוברת ניבים ואמרות עבריים וארמיים، מונחים בינלאומיים"،הוצאת קרית ספר בע"מ، ירושלים، כרך שלישי، 1979، עמ' 2207.

[١٩] שוקרון، לידיה: ערך (צואה): האנציקלופדיה העברית כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ، ירושלים، תשל"ו، כרך 28، עמ' 532.

إصحاح ٢٣). ووصية داود، حينما حضرته الوفاة، لابنه سليمان، بأن يحفظ شعائر الرب، وفرائضه، ووصاياه، وأحكامه، وشهاداته، حتى ينال الفلاح والتوفيق (سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني).

وفي الأدب التلمودي، هناك وصايا كثيرة من هذا النوع؛ فحينما مرض رابي أليعزر بن هوركانوس[٢٠]، وجاء تلامذته لزيارته، قالوا له: يا سيدنا! علّمنا بعض العادات التي تساعدنا على الفوز بالحياة الآخرة. فأوصاهم أن يحافظوا على توقير أصحابهم، وأن يقفوا أمام الرب بقلوبٍ مخلصةٍ في الصلاة[٢١].

وحينما حضرت الوفاة يهودا هناسيء[٢٢]، طلب أولاده، فدخلوا عليه، فأوصاهم بأمهم، قائلا لهم: "הזהרו בכבוד אמכם، נר יהא דלוק במקומו، שולחן יהא ערוך במקומו، מטה תהא מוצעת במקומה"[٢٣]. "حافظوا على برّ أمكم، الشمعة [شمعتي] تبقى مشتعلة في مكانها، والمائدة [مائدتي] معدة في مكانها، والسرير [سريري] مهيأ في مكانه"

---

[٢٠] أليعيزر بن هوركانوس "אליעזר בן הורקנוס": من كبار الفقهاء اليهود، عاش في القرن الثاني الميلادي، ويعرف في المصادر اليهودية باسم الحبر أليعيزر الكبير "אליעזר הגדול"، وهو من كبار تلاميذ الحبر يوحانان بن زكاي.

_ ينظر: היימן، אהרון: תולדות התנאים והאמוראים، חלק ראשון، לונדון، תר"ע، עמ' 161.

[٢١] ينظر: תלמוד בבלי، מסכת ברכות דף כ"ח עמוד ב'.

[٢٢] يهودا هناسئ "יהודה הנשיא": ولد سنة ١٣٥ م في فلسطين وتوفي سنة ٢١٩م، يعد من أبرز الفقهاء اليهود المعروفين بالتنائيم، وقد ترأس السنهدرين، وهو الذي جمع أجزاء المشنا. درس على يد الحاخام شمعون بن يوحاي، والحاخام يهودا بن إليعيزر، والحاخام أليعزر بن شموع، كما تلقى العلم على يد أبيه الحاخام شمعون بن جمليئيل.

_ ينظر: היימן، אהרון: תולדות התנאים והאמוראים، חלק שני، עמ' 575.

[٢٣] תלמוד בבלי، מסכת ברכות דף ק"ג עמוד א'.

أدب الوصايا العبري في العصور الوسطى:

أما في العصور الوسطى، فقد اختلف الأمر إلى حدّ بعيد؛ حيث تبلور أدب الوصايا تحت تأثير الأدب العربي، وتحوّل من مجرد وصايا شفهية يلقيها المريض أو المحتضر على أبنائه وأهل بيته، إلى فن نثري مكتوب، له أصوله وقواعده؛ كما تنوعت موضوعاته وأغراضه، ما بين ديني، واجتماعي، ووعظي أخلاقي وما إلى ذلك.

ولا شك أن الأدب العربي كان له دور كبير في ذلك؛ كما ساعدهم احتكاكهم بالثقافة العربية نفسها، وتأثرهم الشديد بنواحيها المختلفة، على تطور هذا الفن. ونستطيع بسهولة أن نعثر على كثيرٍ من المُؤثرات العربية والإسلامية في أدب الوصايا العبري في العصور الوسطى، سواء من ناحية الأفكار أم من ناحية المضامين والموضوعات.

وتُعدّ وصية أليعزر بن إسحاق الفورموزيّ "אליעזר בן יצחק מוורמיזה"، المعروفة باسم "אורחות חיים"، المكتوبة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، في ألمانيا، من أبرز النماذج الأولى لأدب الوصايا[٢٤]. وقد كتب هذا الحبر هذه الوصية لابنه؛ وهي من الوصايا الدينية، التي يحضّه فيها على التمسك بتعاليم الدين، وعدم الإنحراف عن وصايا الرب وفرائضه[٢٥].

[٢٤] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، פילאדלפיא، החברה היהודית להוצאת ספרים אשר באמיריקא، חלק 1، 1926، עמ' 31.

[٢٥] ينظر حول هذه الوصية: הגדול، אליעזר: ספר ארחות חיים והוא צוואות התנא רבי אליעזר הגדול، הוא רבי אליעזר בן הורקנוס אשר צווה לבנו התנא רבי הורקנוס אשר למדו ארחות חיים، הוצאת הרב ירוחם ליינער، בהוצאת "עלים"، ניו–יורק، תש"ו، מ' 30 _ 31.

وهناك أيضا وصية موسى بن نحمان[٢٦]؛ التي كتبها أثناء إقامته في فلسطين إلى ابنه نحمان، في كتالونيا. وهي رسالة أخلاقية، يوصي فيها ابن نحمان ولده بالتواضع وينهاه عن التكبر والغضب؛ ويبين له أن أساس التواضع هو الهدوء في الكلام، وخفض العين والرأس[٢٧].

وهناك أيضا وصية منسوبة إلى موسى بن ميمون(١١٣٨ _ ١٢٠٤م)، بعنوان "שערי המוסר" "فصول الأخلاق". وقد شكك بعض الباحثين في نسبة هذه الوصية إلى موسى بن ميمون؛ اعتمادًا على استعماله صيغة جمع الخطاب؛ مع أنه لم يكن له سوى ولد واحد وهو إبراهيم بن ميمون[٢٨].

ومهما يكن من أمر؛ فقد شاعت نسبة هذه الوصية إلى موسى بن ميمون، وهي من نوع الوصايا الدينية والأخلاقية؛ والتي يأتي فيها الحث على التمسك بالأخلاق الفاضلة والسلوكيات الحميدة؛ جنبا إلى جنب التمسك بالوصايا والشرائع الواردة في التوراة.

أما وصية يهودا بن تبون؛ فهي من أبرز ما كُتب على الإطلاق، في هذا الفن، في العصور الوسطى؛ إن لم تكن أهمها جميعا؛ وذلك لأنها تميّزت عن نظائرها، بأمورٍ شتى، لعل أبرزها: هي أنها قد تطرقت إلى قضايا، تربوية، وتعليمية كثيرة؛ بل ربما تركزت على هذا النوع من القضايا؛ بخلاف الوصايا الأخرى، التي تركزت حول القضايا، والموضوعات الدينية، والأخلاقية فقط؛ أما عند ابن تبون، فقد كان الأمر مختلفا إلى حدّ بعيد؛ وهذا ما أعطى وصيته

---

[٢٦] موسى بن نحمان: حاخام وفيلسوف وشاعر وطبيب يهودي ومفسر للتوراة، ولد في مدينة جيرونة في إسبانيا سنة ١١٩٤م وتوفي سنة ١٢٧٠م. وهو سليل عائلة ربانية معروفة. ويعود نسبه إلى الحبر إسحاق بن رأوبين البرشلوني، كما كانت تربطه صلات قرابة بالحبر يونا الجيروني.

- ينظر: מרגליות، מרדכי: אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל، כרך רביעי، הוצאת יהושע צ'צ'יק، תל–אביב، תש"י، עמ '1128.

[٢٧] ينظر حول هذه الوصية: בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' ٩٧.

[٢٨] שם، עמ' 102.

نوعا من التّميز والتّفرد؛ وهو ما سيتم بسطه في ثنايا هذا البحث بعون الله وتوفيقه؛ ولكن قبل أن نلج إلى صلب هذا الموضوع يجدر بنا أولا أن نلقي نظرة سريعة على حياة كاتب الوصية: "يهودا بن تبون" وأبرز أعماله.

يهودا بن تبون:

هو يهودا بن شموئيل بن تبون، ولد في مدينة غرناطة بالأندلس حوالي سنة ١١٢٠م وتوفي سنة ١١٩٠م[٢٩]. وهو من أوائل الذين اضطلعوا بترجمة تراث اليهود العربي في العصور الوسطى إلى اللغة العبرية؛ كما أنه هو أيضا جد عائلة تبون، التي ستستكمل فيما بعد مسيرة هذا الجد الأكبر في الترجمة؛ ولهذا السبب ،عُرف "يهودا ابن تبون" بأبي النقلة اليهود "אבי המעתיקים"؛ وهي التسمية، التي أطلقها عليه ابنه "شموئيل بن تبون"، في مقدمة ترجمته لكتاب "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون[٣٠].

ولا توجد معلومات حول طفولته وشبابه؛ وكل ما يُعرف عنه، أنه ترك غرناطة في الثلاثين من عمره، بعد دخول الموحدين الأندلس، وانتقل إلى مدينة "لونل" جنوبي فرنسا؛ حيث وجد هناك مكانا ملائما له، بين حاخامات الطائفة اليهودية، وبين رؤسائها وقادتها؛ حيث عمل في مهنة الطب والتنجيم[٣١]. ويذكر الرحالة اليهودي "بنيامين التّطيلي"(١١٥٩ _١١٧٣م)، أنه حينما زار مدينة "لونل"، وجد فيها طائفة يهودية كبيرة، وذكر من أبرز علماءها وفقهاءها

[٢٩] ينظر: אייזנשטיין، יהודה דוד: ערך (יהודה אבן תיבון): אנציקלופדיה אוצר ישראל، ניו יורק: פרדס، תשי"ב، חלק א، עמוד 65.

[٣٠] ينظر: בן מימון، משה: ספר מורה נבוכים، בהעתקת שמואל אבן תיבון، בדפוס יצחק גאלדמאן، ווראשא، חלק 1، 1872، עמ' א 1.

[٣١] ينظر: אייזנשטיין، יהודה דוד: ערך(יהודה אבן תיבון): אנציקלופדיה אוצר ישראל، עמ' 65 _ 66.

يهودا بن تبون الطبيب الأندلسي[٣٢]. وبناء على رغبة حاخامات طائفة لونل، ولمعرفة يهودا بن تبون العميقة باللغتين العبرية والعربية؛ فقد قام بترجمة عدد كبير من كتب الفكر اليهودي، المكتوبة بالعربية، إلى اللغة العبرية. من بين تلك الكتب: كتاب الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ليهودا اللاوي، الذي ترجمه بعنوان: "הכוזרי". و"كتاب في فرائض القلوب"، لبحيي بن فاقودا(١٠٥٠) ، بعنوان: "חובות הלבבות". وكتاب اللمع "ספר הרקמה" وكتاب الأصول "ספר השרשים" في النحو العبري، للنحوي اليهودي مروان بن جناح. وكتاب الأمانات والإعتقادات، لسعديا الفيومي، بعنوان: "האמנות והדעות". وكتاب إصلاح الأخلاق، لسليمان بن جبيرول، بعنوان: "תקון מדות הנפש".

أما مؤلفه الرئيس والوحيد، فهو وصيته التي كتبها إلى ابنه شموئيل. وقد طُبعت هذه الوصية للمرة الأولى في برلين سنة ١٨٤١م، بعنوان: "צוואת ר' יהודה אבן תבון" [٣٣]. ثم أعيد نشرها مرة أخرى في كتاب "דרך הטובים" "سبيل الأخيار"، في لندن، سنة ١٨٥٢م، بنفس العنوان: "צוואת ר' יהודה אבן תבון"[٣٤]. وقد اعتمدت النشرتان السابقتان على مخطوط يتيم في المكتبة البودلية (قائمة نيبوير، رقم ٣، ٢٢١٩) [٣٥]. ثم قام "يسرائيل بن

---

[٣٢] ينظر: التطيلي، بنيامين: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، تقديم ودراسة: عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص ١٨٧ _ ١٨٨ .

[٣٣] ينظر حول هذه النشرة: בן יצחק، יעקב: ויבא יעקב אל העין וישלח משה את ידו ויכתבהו בס' הזכרון כולל צוואת ר' יהודה אבן תבון، וצוואת הרמב"ם، ומשלי חכמים، הוצאם לאור ראשונה לכבוד יום זקוני אביו האהוב מה"רר יעקב בן הח' ר' יצחק، וישלחם במקום קרבן ראייה מאת אוצרות כ"י אוקספורד בנו הק' משה שטיינשניידר، ברלין، תר"ב.

[٣٤] ينظر حول هذه النشرة: עדעלמאן، צבי הירש: דרך טובים، מחברת קטנה כוללת מוסר אבות לבנים...، נעתקו ראשונה מכתבי יד בבית אוצר הספרים אשר בעיר אקספורד ויצאו לאור הדפוס עם העתקה בלשון אנגלי על ידי צבי הירש עדעלמאן، לונדון، תרי"ב.

[٣٥] ينظر: בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' ٥٣.

باروخ" بنشر الوصية، مع ترجمة إنجليزية، في موسوعة "צוואות גאוני ישראל" "وصايا قادة بني إسرائيل" سنة ١٩٢٦، في فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وفقًا لنفس المخطوط الذي اعتُمد عليه في النشرتين السابقتين، مع بعض التصويبات في أخطاء الطباعة والنشر [٣٦].

دوافع الوصية عند ابن تبون:

لا شك أن ابن تبون كانت لديه دوافع كثيرة، جعلته يقدم على تقديم هذه الوصية لولده "شموئيل"، ورغم أن هذه الدوافع كانت كثيرة ومتعددة، إلا أنها أيضا متداخلة ومتشابكة، وهي نابعة جميعها من الأبوة الصادقة، الخالصة في النصح. وفيما يلي نلقي الضوء على أبرز تلك الدوافع:

أولًا: المحبة والشفقة:

وهو الدافع الأبرز لهذه الوصية؛ ويستطيع القارئ، أن يلمس هذا الدافع، في كل كلمة في الوصية؛ كما أنه لجأ إلى التعبير عن ذلك صراحة في ثنايا الوصية؛ حيث نجده يُخاطب ولده، في إحدى المرات، قائلا له: "כי מי יחמול עליך בני כחמלתי؟ ומי יעמוד לך במקומי ללמד מאהבה ומחפץ؟"[٣٧]. "لأنه من يُشفق عليك يا بُني مثل شفقتي عليك؟ ومن يقف ليعلمك عن حب ورضا بدلا مني؟". فالاستفهام هنا هو استفهام مجازي لتأكيد حقيقة أنه ليس هناك من هو أشفق عليه منه، وأنه ليس هناك أيضا من هو أحرص على تعليمه منه.

ثانيًا: الإحساس بقرب الأجل ودنو المنية:

لقد كتب يهودا بن تبون هذه الوصية بعد سنة ١١٨٦م[٣٨]، أي على أبعد تقدير: قبل وفاته بأربع سنوات. ولا شك أنه قد أحسّ بدنو أجله؛ فشرع في كتابة هذه الوصية، لابنه شموئيل،

[٣٦] ينظر: בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' ٥٣.

[٣٧] שם، עמ' ٥٨ .

[٣٨] עדעלמאן، צבי הירש: דרך טובים، מחברת קטנה כוללת מוסר אבות לבנים...،עמ ix.

لتكون له بمثابة دستور، ومنهاج، يسير عليه في حياته، ولا يحيد عنه بعد مماته، الذي صار وشيكا؛ فعلى سبيل المثال، بعدما أبدى يهودا بن تبون امتعاضه، من نبذ ولده "شموئيل" للكتب، وعدم اهتمامه بها، نجده يقول له:

"ודמית שאחיה לך לעולם. ולא נתת אל לבך ועינך، כי המות יפריד ביני ובינך"[٣٩]. "وتخيّلت أنني سأعيش لك إلى الأبد. ولم تفطن أن الموت سيُباعد بيني وبينك".

وفي موضع آخر، يوصيه بأن يحافظ على نفسه، ولا يعرضها للتهلكة؛ رأفة بهذا الأب المسن في نهاية عمره، وفيما تبقى له في القليل منه؛ وإن لم يحفظ نفسه رأفة بهذا الأب المسن، فليحفظها رأفة بولده الصغير فلذة كبده؛ حيث يقول له: "השמר לך בני! ... ואם לא תחמול עלי ועל נפשך חמול על ילד שעשועיך והמון מעיך. כי אני מעט יש לי לעמוד עמכם. הנח לי בני! במעט ההוא ואל תאשם בעבורי!" [٤٠]. "انتبه لنفسك يا بُني! واحفظ نفسك ولا تُهلكها! وإن لم تُشفق علىّ فلتُشفق على ابنك مهجة قلبك وفلذة كبدك. لأنّه لم يتبق لي سوى القليل معكم. فأرحني يابُني! في هذا القليل ولا تأثم لأجلي".

ثالثا: الفراق وتنائي الديار:

وهو من الدوافع الأخرى التي حرّكت يهودا بن تبون لأن يكتب هذه الوصية لابنه شموئيل.

ويُلمس أثر هذا الفراق، ويتردد صداه كثيرًا، في ثنايا الوصية، مما يجعله أحد الدوافع المؤثرة لكتابتها؛ فعلى سبيل المثال، يقول في القصيدة التي يفتتح بها الوصية:

קח מוסר אב מלב נכאב / לפרידתך כים הומה...

נסהו אל בנדוד בנים / עד אין לו באבות דומה[٤١]

[٣٩] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' ٥٨.

[٤٠] שם، עמ' ٧٦ .

[٤١] שם، 54_ 55.

خذ وصية أب يتألم من القلب / لفراقك كبحرٍ يصطخب

ابتلاه الإله بفراق الأبناء / حتى أنه ليس كمثله بين الآباء

أما عن أسباب هذا الفراق؛ فهو على ما يبدو، كان من جانب يهودا بن تبون نفسه؛ وفيما يبدو أيضا أنه كان لطلب الرزق والمعاش؛ حيث نجده يخاطب ابنه فيما بعد، في ثنايا الوصية، قائلا: "ואם שוב ישיבני אליך השם אעמס כל מחסורך עלי. כי למי אני עמל כי אם לך ולבניך? אלהי יראני פניהם בשמחה!" [٤٢]. "وإن أعادني الله إليك أحمل عنك كل عوزك. فلمن أتعب، إن لم يكن لك ولأولادك؟ يريني الله وجوههم على خير".

المحور الأول: المضامين التربوية:

حوت وصية يهودا بن تبون على مجموعة كبيرة من المضامين التربوية، التي تتعلق ببعض السلوكيات الشخصية، والتي يحرص أن يقدمها لابنه شموئيل، ملخصا له فيها تجاربه الشخصية في الحياة، حتى يتسنى له الإفادة منها والسير على هديها، والعمل بمقتضاها في قابل أيامه. وفيما يلي نلقي الضوء على أبرز تلك المضامين:

١. الحرص على اكتساب العلوم في فترة الشباب:

حيث يظهر من كلام ابن تبون، أن ابنه شموئيل كان متكاسلًا في صغره في تحصيل العلوم، رغم أنه لم يقصّر معه في شيء؛ حيث جلب له كتبًا في شتى فروع العلوم والمعارف، كما أتى له بمعلمٍ من بلدان بعيدة، ليُعلمه العلوم الخارجية[٤٣]؛ ولكنه مع ذلك لم يكن مُنْكبًّا على طلب العلم، مما جعل والده يُوبّخه ويُعنفه على ذلك كثيرًا في بداية الوصية؛ ثم يذكِّره بعد

[٤٢] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 61.

[٤٣] العلوم الخارجية "חכמות חיצוניות": يقصد بها دراسة العلوم الدنيوية "לימוד חול"، كالحساب، والفلك، والطب، واللغات الأجنبية وما إلى ذلك. أو هو دراسة كل ما ليس له علاقة بالتوراة واليهودية والاشتغال به؛ وهو من المحظورات وفقا للشريعة اليهودية، ولم تسمح به إلا في حدود ضيقة جدا. ومع ذلك، فقد أجازه بعض أحبار اليهود.

- https://chabadpedia.co.il

ذلك، بأنه سوف يندم على هذا كله، وعلى عدم تحصيله للعلوم في شبابه، وذلك كما ندم غيره قبله؛ فيقول له:

"ויודע אני שתתחרט על מה שעבר כאשר התחרטו רבים לפניך על התעצלתם בימי הנערות והבחרות"[٤٤]. "وأنا أعلم أنك ستندم على ما مضى، كما ندم قبلك كثير على كسلهم في أيام الصبا والشباب".

٢. الابتعاد عن رفقة السوء وعدم الجلوس في الطرقات:

فالإنسان يُعرف بصاحبه؛ ولذلك نجد يهودا بن تبون يحثّ ولده على تخير صديقه، والابتعاد عن رفقة السوء، لما لها من أضرار وخيمة؛ ولما قد تجره على الإنسان من الوقوع في المعاصي والمحرمات؛ فيقول له:

"בני! כבר ידעת כי חברת הרעים מזיקה. וכצרעת דביקה"[٤٥]. "يا بني! قد علمت أن صحبة الأشرار مُضرة. وتُصيب كالجذام".

وترتبط رفقة السوء غالبًا بالجلوس على الطرقات، وتتبع العورات، والنظر إلى المحرمات؛ ولذلك فقد عقّب ابن تبون على الابتعاد عن رفقة السوء، بعدم الجلوس على الطرقات؛ حيث يقول:

"ואל תשב במסילות. ואל תלך עם מי שלא תתכבד בחברתו."[٤٦]. "ولا تجلس في الطرقات. ولا تمشي مع من لا تُوقّر بصحبته".

---

[٤٤] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 62.

[٤٥] שם، עמ' 63.

[٤٦] שם، עמ' 63.

٣.الاهتمام بالكتب والعناية بها:

فالكتاب هو خير جليس للإنسان، لا يكذب، ولا يغش، ولا يغتاب، ولا ينافق؛ ولذلك نجد يهودا بن تبون يحث ولده على أن يهتم بكتبه ويرعاها، وينزلها منه منزلة الصديق؛ فيكثر مجالستها، ومطالعتها، والعناية بها؛ كما يُوصيه بأن يجعل مكتبته بمنزلة البستان والحديقة، فلا يكف عن التجوال فيها، والتنزه وسطها؛ فيقول له:

"בני! שים ספריך חבריך. וארגזיך ותיבותיך פרדסיך וגנותיך. רעה בגנותיהם ולקוט שושניהם. וארח מפריהם בשמיהם ומוריהם."[٤٧]. "يابني! اجعل كتبك أصحابك. وصناديقك ودواليبك وبساتينك وحدائقك. ارع في جناتهم والتقط سوسنهم. واستقري من ثمارها عطرها ومرها".

٤. مشاورة الثقات من الأصحاب:

ولابد للإنسان من خلّ وفيّ، يشاوره في أموره، متى استشكلت عليه، ولم يعد يتبيّن فيها الصواب من الخطأ؛ كما أن النصيحة لابد وأن تكون من صديقٍ حكيمٍ؛ لأنها ربما جاءت من صديق جاهل، أو عدوٍ ماكرٍ متربصٍ، فتُوقِع المرء فيما لا تُحمد عواقبه؛ ولهذا السبب يوصي يهودا بن تبون شموئيل ابنه قائلا:

"בני! התייעץ עם מי שתבטח באהבתו וחכמתו. ורעך ורע אביך אל תעזוב."[٤٨]. "يا بني! شاور من تثق في محبته وحكمته. ولا تترك صديقك ولا صديق أبيك".

٥.البعد عن المنازعات والمشاحنات:

ولأن كثرة المنازعات والمشاحنات من الأُمور المذمومة، التي تجعل الإنسان منبوذًا من القريب والبعيد، ومن القاصي والداني؛ فإن يهودا بن تبون يُوصي ابنه أن يبتعد عن هذه

[٤٧] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 63.

[٤٨] שם، עמ' 65.

الخصال المذمومة؛ كما يُوصيه بألا يُقحم نفسه في نزاعٍ لا ناقة له فيه ولا جمل، ولا يتشدد في الاستمساك برأيه، وأن يُذعن لرأي الجماعة؛ فيقول له:

"בני! אל תרב עם אדם، ואל תתעבר לריב לא לך... ואל תתעקש אתה להחזיק בדעתך אפילו אם תדע שהאמת אתך"[٤٩]. "يا بُني! لا تُخاصم إنسانًا، ولا تتجاوز لنزاع ليس لك... ولا تتشدد في التمسك برأيك حتى لو كنت تعلم أن الحق معك. واتبع الجماعة ولا تعارضهم".

٦. عدم المخاطرة بالنفس:

فالنفس أغلى ما يملك الإنسان، ويجب على الإنسان أن يحفظها، وألا يعرضها للتهلكة والخطر؛ ولأجل ذلك يُوصى يهودا بن تبون ابنه بأن يحفظ نفسه من الهلاك؛ بألا يسير في الطرقات في أوقات الحظر والخطر، ولو كان المُقابل ثروةً كبيرةً؛ ومتى تأكد له من الأصحاب والأحباب أهل الثقة، أن الطريق آمنة، فلا غضاضة حينئذ أن يمضي إلى غايته؛ حيث يقول له:

"בני! אל תסכן בנפשך ללכת בדרכים בעתות החרם והסכנה. אפילו על ממון גדול. כי אם בעניין שיורו לך רבים וחכמים אוהביך. ויכירו כי הוא בטוח."[٥٠]. "يا بني! لا تخاطر بنفسك بالسير في الطُّرقات وقت الحظر والخطر. ولو لأجل ثروةٍ طائلةٍ. إلا بنصيحة الجماعة والحكماء أحبابك. ويعلموا أنه مأمون الجانب".

٧.الحرص على الظهور بالمظهر اللائق أمام الناس:

وهذا يتطلب الاهتمام بالملبس، ونظافة الثياب؛ ولذلك يوصي يهودا بن تبون ابنه أن يُكرم نفسه، ويُكرم أهل بيته وأولاده، قدر المُستطاع، بالثياب الأنيقة؛ لأنّه لا يليق بالإنسان أن يظهر

---

[٤٩] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 65.

[٥٠] שם، עמ' 65..

بمظهر غير لائق أمام الناس؛ ثم يُوصيه بأن يُنقص من مأكله ويزيد في ملبسه؛ بمعنى أن يحرص على الاقتصاد في المأكل والمطعم، ويعطي الملبس حقه؛ فيقول له:

"בני! כפי יכולתך כבד את עצמך ואת ביתך ואת בניך במלבושים הגונים... וחסר מבטנך ותן על גבך!" [٥١]. "يا بني! أكرم نفسك وبيتك وأولادك قد المستطاع بالثياب القيمة... وأنقص من بطنك وزد على ظهرك".

٨. الاعتماد على النفس:

إذ يجب على المرء أن لا يبقى دائمًا عالةً على والده أو أهله، ولكن يجب أن يعتمد على نفسه، وأن يصبح كيانًا مستقلًا بذاتِه، بعيدًا عن مُساعدات الآخرين؛ كما يجب أن يحرص على أن يكون محلّ احترام النّاس وتقديرهم، لشخصه هو، لا لنسبٍ ولا لحسب. وهذا لا يكون ذلك إلا بالتَّخلق بالأخلاق الحميدة، والخِصال الطيبة، وأن يكون الإنسان ودودًا مع الجميع؛ لذلك يوصي ابن تبون ولده قائلًا له:

"ועתה בני! ... השתדל אתה מעתה להוסיף כבוד על כבודך ויכבדוך בעבור עצמך، וזה תשיג במדותיך הטובות ומנהגיך הנעימים עם בני אדם"[٥٢]. "والآن يا بني!... احرص من الآن أن تزداد مجدا على مجدك، وأن يكرمك الناس لأجل نفسك، وهذا تدركه بأخلاقك الحميدة، وسلوكياتك الطيبة مع الناس".

٩. الحرص على كسب ود الناس ومحبتهم:

لقد كان يهودا بن تبون طبيبا، وقد ورث ابنه شموئيل هذه المهنة عنه. ولا شك أن أساس مهنة الطب هو حبّ النّاس، ولا يكون ذلك إلا ببعض الصفات الطيبة التي يجب أن يتحلى بها الطبيب، والتي ذكرها يهودا بن تبون لابنه؛ حيث يقول له:

---

[٥١] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 66.

[٥٢] שם، עמ' 67.

"בני! האר פניך לבני אדם. ובקר חוליהם. ויהיה לשונך להם למרפא. ואם תקבל מעשירים היה מרפא חנם לענייהם. והשם ישלם גמולך ויתן את שכרך..."[٥٣]. "يا بني! أطلق وجهك للناس. وعُد مرضاهم. وليكن لسانك لهم دواءً. وإن أخذت من غنيهم فداوي فقيرهم مجانًا. والرب يُجازيك ويُعطيك أَجرك".

9. الحرص على بر الأب وعدم مخالفة أمره:

يبدو من كلام يهودا بن تبون أن شموئيل ابنه لم يكن مطيعًا له؛ بل كثيرًا ما كان يخالفه ويعصيه؛ كما أنه كان يتعمّد إخفاء أموره عنه، ولم يكن يُطلعه عليها، وكان يتجاهل رأيه ولا يعبأ بِه. ومن الأمور التي كان شموئيل يتعمد إخفاؤها عن والده، تلك المتعلقة بتجارته؛ حيث كان شموئيل في شبابِه يمِيلُ نحو العمل بالتجارة، وهو ما كان يقابله رفض الأب؛ الذي كان يُريد أن يسلك ولده طريقَ العلم ويكمل مسيرة الترجمة التي بدأها.

ويذكر يهودا أنهما كانا معًا في مرة من المرات مدينة مرسيليا، واشترى شموئيل بضاعةً كثيرةً، دون أن يُخبِره شيئًا بأمرها إلا حينما وصلا مدينة آرل؛ وهو الأمر الذي أغضبه جدًّا، وعاتبه عليه قائلًا له:

"ואלו היה גוי שרוי ומעירי היה שואל עצתי או מודיע אותי במקחו ומכרו"[٥٤]. "ولو كان أجنبيًّا وحيدًا، ومن مدينتي، لأخذ نصيحتي، ولأعلمني ببيعه وشراه".

ومن الأمور الأخرى التي كان يُخفيها شموئيل عن والده، ولم يعبأ برأيه فيها؛ أنه كان حينما يكتب قصيدة أو رسالة، لم يكن يُطلعه عليها؛ وحينما كان يطلب منه رؤيتها، كان يرفض ذلك، ويرد عليه بأسلوب غير لائقٍ، قائلًا له: ماذا تريد أن ترى؟!:

---

[٥٣] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 67.

[٥٤] שם، עמ' 72.

"ולא עוד אלא כשהיית כותב כתביך או עושה שיריך לשלוח לארץ אחרת לא היית רוצה להראות לי דבר. והיית מונע ממני לראות: וכאשר הייתי אומר לך، הראיני! היית אומר לי، מה אתה רוצה לראות؟"[٥٥]. "وليس أكثر من أنك حينما كنت تكتب رسالة أو تنظم قصيدة لترسلها إلى بلدة أخرى لم تكن تُريد أن تُريني شيئًا. وكنت تمنعني أن أرى. وحينما كنت أقول لك: أريني! كنت تقول لي: ماذا تريد أن ترى؟".

ومع كل ذلك، كان ابن تبون يتجاوز عن مخالفات ولده، ويغفر له أخطاؤه، واستخفافه به، وبما أوجبه الله عليه نحوه من الطاعة والبر؛ ثم يذكر له أن الفرصة لازالت سانحة أمامه، وأنه يمكنه أن يدرك ما فاته من البر، وذلك بأن يطيعه في كل ما أوصاه به في هذه الوصية، وألا يخالفه في شيء منها[٥٦].

١٠. الاحتراز من تناول الأطعمة الضارة:

كان يهودا بن تبون أبا رقيق الحاشية، يخاف على ولده إلى أبعد حد؛ وفيما يبدو أيضا أنه كان يُدلل ولده إلى أبعد حدٍّ، وقد أورثت تلك الأفعال الولد رغبة في التخلص من تلك القيود التي يحاول أن يقيّده بها والده؛ وقد رأينا ذلك آنفًا فيما يتعلق بأمور التجارة وأمور الأشعار التي كان يخفيها عن والده، ولم يكن يطلعه بأمرها؛ ثم نعود فنراه هنا أيضًا فيما يتعلق بالمأكولات الضّارة، التي لا يتحاشى أن يتناولها، رغم ما تُسبّبه له من أمراض وأسقام. ولكنها فيما يبدو، كانت محاولة منه للتخلص من قيود الأب الشديدة؛ ولذلك نجد الأب يوصيه قائلا:

"ומן הדבר הגדול שתקיים בו מצותי ותשמר דברי שתשמר במאכליך. ואל תמיתני בלא עתי...ותדע כי אתה מנוסה בחליים בכל שנה בעוונותי. ורוב סבותם המאכלים

[٥٥] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 72.

[٥٦] ينظر: שם، עמ' 73.

הרעים"[٥٧]. "ومن الأمور العظيمة التي تقيم بها وصاياي وتحفظ بها كلامي أن تعتني بأطعمتك. ولا تجعلني أموت قبل أواني... وأنت تعلم أنك مُبتلى بالأمراض كل سنة بأوزاري. ومعظم أسبابها الأطعمة الضارة".

ثم يتابع بعد ذلك وصيته له في هذا الصدد، مُقْسمًا عليه برب السماء، وبما أوجبه عليه الخالق تعالى من البر، وبما له عليه من الإجلال والإكبار بأمر التوراة، أن يحترز ما استطاع من الأطعمة الضارة؛ لأنها أصل ما يعانيه من أمراض؛ وخير للإنسان أن يكتفي بالقيل الجيد، من أن يتناول الكثير الضار، وألا يتناول أكلة تمنع أكلات[٥٨].

ثم يطلب منه أن يخجل من نفسه ومن الناس الذين يعرفون أن سبب مرضه هو الطعام الضار، لأنه ليس ثم خزي أشد من طبيبٍ مريضٍ، يشفي الناس ولا يستطيع أن يشفي نفسه، ويزين الناس بما لا يستطيع أن يزين هو به نفسه[٥٩].

11. عدم التجوال في الطرقات والشوارع:

كما يوصي يهودا بن تبون ابنه شموئيل بعدم التّجوال في الطّرقات والشوارع، أثناءَ غيابه عنه، وعليه أن يُوطِّن نفسه على ذلك، ويتصرف بمقتضاه؛ لما في ذلك السلوك من انتقاص للمروءة، ونيلٍ من الوقار والهيبة. كما يُوصيه ألا يأكل خارج البيت طوال فترة بُعده عنه، وإن دعاه شخص عزيز أو قريب إلى مأدبة، فلا يأكل فيها، ولكن يكرمه فقط بالوقوف والخدمة؛ حيث يقول له:

[٥٧] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 75.

[٥٨] שם، עמ' 76.

[٥٩] שם، שם.

"בני! אל תרבה לשוח במסלות ובדרכים. ואל תאכל בסעודה חוץ לביתך כל ימי נדודי ממך. ואם יקראך לסעודה מי שיקר בעיניך אוהב או קרוב כבדהו בעמידתך ושמושך בלבד"[٦٠].

"يا بني! لا تكثر من التجوال في الطرقات والشوارع. ولا تأكل على مأدبةٍ خارج بيتك طوال غيابي عنك. وإن دعاك لمأدبةٍ عزيز عليك حبيب أو قريب فأكرمه فقط بوقوفك وخدمتك".

١٢. حسن معاملة الزوجة:

ولأن الإحسان إلى الزوجة، وحسن رعايتها من شيم الكرام؛ نجد يهودا بن تبون يوصي ابنه بحسن معاملة زوجته؛ لأنها كما يصفها امرأة حكيمة حصيفة، وقفت بجواره في مرضه، وساندته، وأحسنت خدمته ورعايته؛ كما خدمت أولاده، ورعتهم حق الرعاية؛ لكل ذلك، يجب ألا يبخل عليها في النفقة، وألا يستهزأ بها، وألا يسخر منها؛ ويذكره بالحديث النبوي الشريف: "ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"؛ حيث يقول له:

"בני! גם אני מצוך שתכבד אשתך בכל יכלתך. כי אשה משכלת וצנועה ובת גדולים בחכמה וביחס. ושמשת טובה לך ולבנך. ואינה מפזרת... וזכור שמושה הטוב לך בחלייך והיא כבודה ויחידה. וגדולה את בנך אחר כן בלא עוזרת ובלא עוזר..."[٦١].

"يا بُني! أوصيك أيضًا أن توقِّر زوجتك قدر ما تستطيع. لأنها امرأة عاقلة وعفيفة وحسيبة ونسيبة. أحسنت خدمتك وخدمة أولادك. غير مسرفة... واذكر حسن خدمتها لك في مرضك وهي كريمة ووحيدة. ثم بعد ذلك تربيتها ابنك بلا خادمة ولا خادم...".

[٦٠] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 78.
[٦١] שם، עמ' 78 _ 79.

١٣. الاعتدال في النفقة وعدم الاقتراض:

فالاعتدال في النفقة هو أساس الحياة المستقيمة، بلا إسرافٍ ولا تبذيرٍ؛ ولذلك يُوصي يهودا بن تبون ابنه بالاعتدال في الإنفاق، ويبين له أن ذلك نصف الكفاية؛ ثم يحذّره من الاستدانة والاقتراض، ومن الأفضل للإنسانِ أن ينام بلا عشاءٍ ويستيقظ بلا دين؛ فالدين همّ بالليل ومذلة بالنهار؛ ومما يقول له:

"ושתנהוג בהוצאתך בסדר נאה. וכבר נאמר במבחר הפנינים: הסדר בהוצאה חצי הספוק. ומשל הקדמוני לין בלא סעודה והשכם בלא חוב..."[٦٢]. "وأن تسير في نفقتك بنظامٍ لائقٍ. وقد قِيل في كتاب مختار الآلئ: النظام في النفقة نصف الكفاية. والمثل القديم يقول: بت بلا عشاء واستيقظ بلا دين...".

١٤.رعاية الأبناء والحرص على تربيتهم تربية قويمة:

فكما رعاه والده، يُوصي ابن تبون ولده أن يرعى أولاده، وأن يتعهدهم، ويُحسن تربيتهم وأدبهم؛ كما يُوصيه أن يُعلِّمهم التوراة، كما علمه إياها من قبل؛ كما يوصيه أيضا بتعهد صحتهم، وألا يستخفّ بأي ألم ينالهم، مهما كان ضئيلًا، وعليه من فوره أن يُداويهم ويطببهم؛ حيث يقول له:

"בני! הרגיש על בניך כאשר הרגשתי עליך. וחמול עליהם כחמלתי. ויסרם כמוסרי. ושמרם כשמירתי. והשתדל ללמדם תורה כשהשתדלתי... ואל תקל במעט מיחוש שיקרה להם וכן בעצמך..."[٦٣].

[٦٢] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 79.

[٦٣] שם، עמ' 80.

"يا بُني! اعتن بأبنائك مثلما اعتنيت بك. واشفق عليهم كشفقتي عليك. وأدِّبهم كأدبي لك. وارعهم كرعايتي لك. واحرص أن تعلمهم التوراة كحرصي على تعليمك... ولا تستخف بالألم البسيط الذي قد يلم بك أو بهم...".

15. الحرص على إكرام الأصحاب والخلان:

حيث يوصي يهودا بن تبون ابنه بأن يرعى حق الصداقة، ويرفق بأصدقائه، ويعمل على صالحهم بالنصيحة والحكمة ؛ حيث يقول له:

"אבל בני! כבד את חביריך. והרגיש עליהם להועיל להם בחכמתך בעצה ובמעשה"[٦٤]. "لكن يا بني! أكرم أصحابك. وانتبه إليهم لتنفعهم بحكمتك بالنصيحة وبالعمل".

كما يُوصيه خيرًا بكل من أسدى له معروفًا، ولا يكون الإكرام بالكلام فقط، بل يكون بالكلام والفعل معا؛ كما يُبيّن له أن الإنسان لا يستطع أن يرد إحسان المحسن ما عاش؛ حيث يقول له:

"בני! אל יספיק לך במי שגמלך טוב במעשה או בכבוד או בדבור שתשלם לו כמעשה בלבד. כי לא יוכל אדם לשלם למקדים כל ימיו"[٦٥]."يا بني! لا تكتفي بأن ترد إحسان من أحسن إليك بالعمل أو الإكرام أو الكلام، أن ترده له بالمقابل له فقط؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يرد لمحسن إحسانه طوال الحياة"

المحور الثاني: المضامين التعليمية:

ولأن أسرة ابن تبون قد امتهنت الكتابة والترجمة؛ فقد حوت وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل مجموعةً كبيرةً من التعليمات والإرشادات المتعلقة بطريقة تحصيل العلوم والمعارف، وكيفية الكتابة الصحيحة مع عدم الوقوع في الأخطاء الإملائية، والطّرق المُثلى لكتابة

[٦٤] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 83.

[٦٥] שם، עמ' 84.

الحروف، والاهتمام بحسن الخط وجودته، وما إلى ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الإطار. وفيما يلي نلقي الضوء على أبرز تلك المضامين:

١ .المداومة على طلب العلم:

فالمداومة والتكرار من مقتضيات التعلم والتحصيل؛ ولذلك يُوصى يهودا بن تبون ابنه أن يُداوم على كتابة صحيفةٍ واحدةٍ كلّ يومٍ، وأن يُخصّص ساعةً من النهار، لمطالعة ديوان ابن الأمثال "בן משלי" لشموئيل هناجيد[٦٦]؛ وأن يُحافظ على قراءة وردٍ عربي كل سبت، لما لذلك من منفعةٍ جمةٍ في تعلم الكلمات العربية، وفي الترجمة إذا أراد أن يترجم؛ فيقول له:

"בני קבל עליך לכתוב עלה אחת בכל יום ולעיין שעה אחת בבן משלי. ולקרוא בכל שבת הסדר ערבי. כי יועיל לך במלות הספרים הערביים. ובהעתקה אם תרצה להעתיק"[٦٧]. "يا بُني! تعهد نفسك أن تكتب كل يومٍ ورقةٍ واحدةٍ وأن تُطالع ديوان "ابن الأمثال" ساعةً واحدةً. وأن تقرأ كل سبت وردًا عربيًّا. فإنه يُفيدك في فهم كلمات الكتب العربية. وفي الترجمة إن أردت أن تترجم".

[٦٦] شموئيل هناجيد: هو شموئيل بن يوسف هاليفي بن النغريلة أو النجديلة: شاعر وسياسي يهودي، ولد سنة ٩٩٣م في قرطبة بالأندلس؛ وقد ترك قرطبه إثر ثورة البربر، واتجه إلى مالقة، وهناك تعرف على ابن العريف، وزير الملك حابوس بن باديس، وهو الذي قدمه للملك حابوس، والذي صار وزيره بعد وفاة ابن العريف. ترك الناجيد انتاجا أدبيا واسعا، وقد جمع يوسف ابنه جميع قصائده بعد وفاته في ديوان كبير يتألف من ثلاثة أقسام: الأول هو ابن الأمثال"בן משלי"، والثاني بن المزامير"בן תהלים"، والثالث ابن الجامعة"בן קוהלת".

_ قنديل، عبد الرازق: شعراء العبرية في الأندلس، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٦١.

[٦٧] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 65 _ 66.

٢. الحرص على مراجعة كل ما يكتبه:

وذلك لأن الإنسان غير معفيّ من الخطأ والنسيان؛ ولذلك يجب عليه، متى كتب شيئًا، أن يُراجعه مرارًا وتكرارًا؛ ليُصحح ما في كتابته من أخطاءٍ، وليتدارك ما فاته بسبب النسيان أو ما إلى ذلك؛ وفي هذا الصدد، يقدم يهودا ابن تبون لابنه بعض النصائح النفيسة؛ حيث يقول له:

"בני! כאשר תכתוב כתב שוב אליו וקראהו. כי אין אדם נצל מן השכחה. ואל יבהלך החפזון לשוב על אגרת קטנה להגיהה." [٦٨]. "يا بني! حينما تكتب كتابًا عد إليه واقرأه. لأنّه ليس هناك إنسان معفي من النسيان. ولا تمنعك العجلة أن تراجع رسالة صغيرة لتصححها".

٣. الاحتياط من الوقوع في الأخطاء النحوية:

وذلك لأن المعنى قد يكون خطيرًا، ولكن تهوي به الأخطاء الإملائية إلى أسفل السافلين؛ ولذلك يوصي يهودا بن تبون ابنه، بالحذر من الوقوعِ في الأخطاءِ النحوية والإملائية، والخلط بين المذكر والمؤنث، ويحثّه على استعمال الحروف والأدوات على النحو الأمثل، وفي مواضعها الصحيحة؛ سواء فيما يتعلق بأدوات الربط بين الكلمات، أم بأدوات الربط بين الجمل؛ فيقول له:

"והזהר מהטעות בלשון ובבניינים ובדקדוק ובלשון זכר ונקבה. כי פעמים מטעה בזה שגרת לשון הלעז... והוי זהיר בקשרים ומלות הטעם איך תביאם. ואיך יתחברו הפעלים אל השמוש בהם"[٦٩]. "واحذر من الخطأ في اللغة وفي الأوزان والقواعد وفي المذكر والمؤنث. فكم من مرة توقع الطلاقة في اللغة الأجنبية في أخطاء من هذا القبيل... وكن حذرًا في استعمال الروابط والحروف. وكيف تتصل بالأفعال".

[٦٨] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 68.

[٦٩] שם، עמ' 68.

٤.البساطة والبعد عن التكلف في الكتابة النثرية:

وذلك لأن العبارات البسيطة، جيدة السبك، البعيدة عن التصنع والتكلف، هي سر من أسرار البلاغة؛ ولذلك يوصي يهودا بن تبون ولده، بأنه يجب أن تكون عباراته سهلة قصيرة، ولا يسعى خلف السجع إلا ما جاء عفوًا؛ وذلك لأن التّكلف في السَّجع يُفسد الكلام، ويجعل المعاني تابعةً للألفاظ؛ ومن ثم تعافه النفوس، وتشمئز منه الأذهان؛ فيقول له:

"והשתדל בכתבך שתהיה מליצתך קצרה וצחה. ואל תרדוף החרוז בכתבך אם לא יבואך לתמו. ואל תנהגהו בכבדות..." [٧٠]. "واحرص في كتابتك أن تكون جملتك قصيرة وفصيحة. ولا تسعى خلف السجع في كتابتك إلا إذا جاءك عفوا...".

٥. الابتعاد عن استعمال الأوزان والكلمات الغريبة عند نظم الأشعار:

حيث يوصي ابن تبون ابنه، عند نظم الأشعار، أن يبتعد تمامًا عن بعض عيوب الشعر، مثل: الاستطراد، والتكلف، واستعمال الأوزان المهجورة؛ لأنّ الغريب دائما ما تعافه الآذان، وتمجه الأنفس؛ حيث يقول له:

"וכן תעשה בשיר. רחק מהבא מליצותיו בכבדות ובמלות רבות. ויהיו המלות ערבות. וקלות על הלשון. ובנייניו בניינים נמצאים. ואל תביא בניינים זרים ולא מלות זרות אפילו אם הם עוברות מדרך ההקשבה..." [٧١]. "وكذلك تفعل في الشعر. ابتعد عن الاستطراد والتّصنع في بلاغته. ولتكن كلماته مستساغة. سهلة على اللسان. وأوزانه أوزانًا موجودةً. ولا تأتي بأوزانٍ غريبةٍ ولا بكلماتٍ غريبةٍ، حتى ولو كانت قياسية....".

[٧٠] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 69.

[٧١] שם، עמ' 69.

٦. الاهتمام بجودة القلم والورق والحبر عند الكتابة:

إن كل صنعة، تتطلب من صاحبها الاهتمام بأدوات صنعته، وتخيّرها على أحسن ما يكون، حتى لا تؤدي الغرض المطلوب فقط؛ ولكن لتخرجه على أحسن صورة؛ ومن هذا المنطلق نجد يهودا بن تبون، يُوصي ولده شموئيل، بأن يحرص على أن تخرج كتابته في صورة أنيقة جميلة؛ ولا يكون ذلك إلا بأدوات الكتابة من أقلام وأحبار وأوراق؛ وذلك لأن جمال الكتابة وأناقتها يدل، في المقام الأول، على أناقة صاحبها؛ حيث يقول له:

"ויפה כתבך וכתיבתך. והטיב מלאכת קולמוסך. והדיו אשר תהיה כותב בו יהיה טוב במראהו. ואגרתך תהיה טובה מאד כפי יכלתך. אלא אם תכתוב בעת שלא יזדמן לך אחת מאלה..."[٧٢]. "وجمّل كتابك وكتابتك. وأحسن صنعة قلمك. وليكن الحبر الذي تكتب به جميل الشكل. ولتكن رسالتك جميلة حسب استطاعتك. إلا إذا كنت تكتب في وقت لم يتوفر لك واحدة من تلك...".

٧. الاهتمام بتحسين الخط العبري:

حيث يُوصي يهودا بن تبون ولده بتحسين خطه، قدر استطاعته، وأن يحرص على كتابة الحروف بشكلٍ متساوٍ وصحيحٍ؛ فالياء تُكتب بشكلٍ مستقيمٍ، حتى لا تتداخل فيما قبلها وما بعدها من الحروف؛ واللام تكون طويلة لأعلى، وعنقها مائل بشكل مستقيم؛ وتكون سيقان القاف والكاف والنون طويلة ومتساوية من الأسفل؛ ويوضح له أنه من الحذق في الكتابة، أنه إذا اجتمعت اللامات، أو النونات، أو القافات، أو الكافات، في خط واحد؛ ألا تكون إحداها أطول أو أقصر من أختها؛ بل يجب أن تكون جميعا متساوية؛ ثم يُنهِي وصيته له في هذا الصدد، بتوجيهه بأن ينظر إلى كتابته، ويحافظ فيها على كل هذه الأمور؛ وذلك لأن الكتابة،

[٧٢] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 69 _ 70.

كما يقول، صورة من الصور؛ وكلما حرص المرء على تحسينها، كلما بدت أنيقة جميلة؛ ثم يُتابع، بعد ذلك، وصيته له، بمساواة الخطوط، قائلا له:

"ועל שטותיך שם דעתך שיהיו ישרות. וערך כל אחת מהנה אל חברתה שוה. ושלא תהיה אחת עולה למעלה ואחת יורדת למטה"[٧٣]. "واحرص أن تكون سطورك مستقيمة. واجعل كل واحد منها مساوٍ لأخيه. وألا يكون سطر صاعد لأعلى والآخر نازل لأسفل"

٨. تفقد الكتب والعناية بها:

كما يوصي يهودا بن تبون ولده، بتعهد كتبه، وتفقدها، من حين لآخر؛ فالكتب العبرية يراجعها كل شهرٍ مرة، والعربية كل شهرين، والأجزاء المُتصلة مرة كل ثلاثة أشهر؛ كما يُوصِيه بحُسن ترتيبها، وتنظيمها، في مكتبته، حتى يستطيع الوصول إليها بسهولةٍ ويسرٍ متى أراد؛ كما يُوصِيه، في هذا الصدد، أن يكتب بطاقاتٍ، بأسماء الكتب الموجودة في كل رف، ويضعها فيه، حتى تسهل عليه عملية البحث، متى احتاج إلى كتاب؛ فلا يضطر إلى مراجعة جميع الكتب في جميع الأرفف؛ كما يوصيه حتى بالأوراق المقطعة، ففيها على حد وصفه مزايا حسنة كثيرة؛ حيث يقول:

"ופקוד ספריך העבריים בכל ראש חודש. והערביים פעם בשני חדשים. והכרכים הקשורים פעם בשלושה חודשים. וסדר הכל סדר נאה כדי שלא תיגע לחפש ספר כשאתה צריך אליו. ושתדע מקומו מן הארמרים והתיבות"[٧٤].

"وافتقد كتبك العبرية مرة في أول كل شهر. والعربية مرة كل شهرين. والأجزاء المتصلة مرة كل ثلاثة أشهر. ورتّب الجميع ترتيبًا جيدًا حتى لا تتعب في العثور على كتاب حينما تحتاجه. وتعرف مكانه في الخزن والدواليب".

[٧٣] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 70.

[٧٤] שם، עמ' 80.

٩. عدم التكاسل في تحصيل الدروس:

كما يوصي يهودا بن تبون ولده شموئيل، بالجد والاجتهاد في الدراسة، وتحصيل العلوم، وعدم التهاون والتكاسل؛ كما يُوصيه بألا يتعود المذاكرة مع الفتيان، ولكن بعد أن يقوم من عند سيده أو معلمه، وفي الليل؛ حيث الهدوء والسكينة؛ كما يوصيه أيضًا بالحرص على تعليم كل ما تعلمه، من معلميه، إلى تلاميذٍ أكفاءَ؛ حتى يثبت ما تعلمه في ذهنه، بإلقائه على التلاميذ مرةً أُخرى، وبمطارحتهم الأسئلة حول ما يتعلمونه؛ فيقول:

"ואל תקבע ללמוד עם הבחורים כי אם אחר שתקום מבית מדרש רבך בקצת הלילות. וכל מה שלמדת ממני ומרבותיך למד לתלמידים הגונים תמיד. כדי שתקיים למודך בידך. ובלמודך להם תדע אותו על פה"[٧٥]. "ولا تتعود أن تذاكر مع الفتيان وإنما حينما تقوم من مدراش معلمك في طرف الليل. وكل ما تعلمته مني ومن معلمك علمه لتلاميذ أكفاء دائمًا. حتى تقيم تعلمك بيدك. وبتعليمك إياهم تعرفه شفاهة".

١٠.عدم الامتناع عن إعارة الكتب مع الحفاظ عليها:

حيث يوصي ابن تبون ولده، بعدم الامتناع عن إعارة كتاب من كتبه؛ خصوصًا لمن لا يستطيع أن يشترى هذا الكتاب؛ بشرط أن يتعهد بإعادته، والحفاظ عليه؛ فهذا من باب البر والإحسان؛ كما يوصيه بضرورة التّشدد في الحفاظ على كتبه، وأن لا يتركها للعراء، فتتلف وتفسد؛ ثم يؤكد عليه، بأنه متى أعار كتابًا لأحدٍ، فلا يُخرجه من بيته، قبل أن يكتبه في السجل.

كما يُوصِيه بضرورة إعادة جميع كتبه المعارة، في عيد الفصح[٧٦] وفي عيد المظلة[٧٧]؛ حيث يقول له:

---

[٧٥]בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 81.

[٧٦] عيد الفصح "חג הפסח": يبدأ عيد الفصح في ليلة النصف من شهر نيسان، ويستمر حتى الواحد والعشرين من الشهر نفسه؛ أي يستمر سبعة أيام؛ ويحتفل به اليهود في ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر؛ وأهم ما يميز هذا العيد هو أن اليهود يأكلون فيه فطيرا غير مختمر؛ وذلك لأن اليهود –كما تذكر التوراة– عند خروجهم من مصر كانوا على عجلة من أمرهم، ولم يكن لديهم وقت لانتظار عجينهم حتى يختمر، ولذلك قاموا بخبزه دون أن يختمر.

_ الإمام، سامي: الفكر العقدي اليهودي "موسوعة الجيب" أهم أسس الديانة اليهودية وعناصرها ومقدساتها، الرحمة للطباعة، ٢٠١٠م، ص ٢٤٤.

"ואל תמנע מלהשאיל ספריך למי שאין בידו יכולת לקנות ספר. ובלבד שהוא מובטח שיחזירם לך... ואל תמנע טוב מבעליו ושמור ספריך שמירה רבה. וכסה הארמרים בתביט כסוי יפה..."[٧٨]. "ولا تمتنع من إعارة كتبك لمن لا يستطيع إلى شراء كتاب سبيلًا. شرط أن يتعهد بأن يُعيده إليك... ولا تمنع خيرًا عن أهله واحفظ كتبك حفظًا شديدًا. وغط الخزائن والدواليب بغطاءٍ جيدٍ...".

١١. إجلال المعلم وتقديره حق قدره:

كما يوصي يهودا بن تبون ابنه ولده أن يكرم أساتذته، ويوقرهم، ويحترمهم، ويجلهم، ويقدرهم، في قيامهم وجلوسهم؛ ليس هذا فحسب، وإنما يجب عليه أن يحب محبيهم ويبغض مبغضيهم؛ حيث يقول له:

"בני! היה זריז בכבוד מוריך ומלמדיך. ועבור אותם ואהוב אוהביהם ושנא שונאיהם. והדרם בכל מקום במעד ומושב"[٧٩]. "يا بني! كن نشطا في إكرام أساتذتك ومعلميك. واخدمهم وحب محبيهم واكره كارهيهم. ووقرهم في كل مكان في الوقوف والجلوس".

---

[٧٧] عيد الظلل "הסוכות": هو العيد الثالث عند اليهود، وهو من الأعياد الزراعية، يحتفل فيه اليهود بتخزين المحصولات الزراعية؛ ويحتفل به اليهود تذكيرا لهم بسكن بني إسرائيل في الظلل أثناء خروجهم من مصر.
_ الإمام، سامي: الفكر العقدي اليهودي "موسوعة الجيب"...، ص ٢٤٧.

[٧٨] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 81 _ 82.

[٧٩] שם، עמ' 83.

المحور الثالث: الخصائص الفنية والأسلوبية:

تميّزت وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل، بمجموعةٍ من الخصائص الفنية والأسلوبية؛ والتي يمكن القول، بأنها تنمّ عن وعي تام، وإدراك كامل لطبيعة ما يكتب، وهو ما ساعد كثيرا في التأثير على المتلقي، وفي إقناعه بتصورات المتكلم؛ خصوصًا، وأنها تصدر عن رؤية المتكلم الذاتية، ومدعومة بتجربته الشخصية فقط. وفيما نلقي الضوء على أبرز تلك الخصائص الفنية والأسلوبية:

أولا: بساطة الأسلوب:

إن أهم ما يُميّز أسلوب وصية ابن تبون هو البساطة، والميل إلى الجُمل القصيرة والبسيطة، ذات المعنى الواضح المحدد، والبعد عن التعقيد والغرابة، وكذا البعد عن الأفكار المعقدة والتصورات المُركبة، التي تتطلب جهدًا كبيرًا في فهمها، والوصول إلى مغزاها، والمقصود منها.

كما يتميز أسلوب الوصية، بالبعد عن المحسنات اللفظية؛ خصوصا السجع والاقتباس من المقرا، وهما خاصتان ميزتا معظم الانتاج النثري لتلك الحقبة، وكانوا يتفنون فيهما وفي أشكالهما وصورهما، ويعدونهما ضرورةً من ضروريات الكتابة النثرية؛ ولا شك أن تكلف السجع والاقتباس، قد دفعا بالبعض إلى موائمة المعنى لهما، لا العكس؛ وهو ما كان يخرج النصوص عن مقاصدها في بعض الأحيان، طالما كانت السجعة ملائمة و الاقتباس موائمًا.

لقد كان التخلص من قيود الزينة اللفظية، أثره الواضح على المعاني؛ فلا كلمة غير مقصودة، ولا كلمة غير واضحة أو غير مفهومة؛ بل المعاني في غاية الوضوح، وكل كلمة تؤدي معنى واضحا في مكانها.

ولا شك أن هذا الأسلوب يلائم إلى حدّ بعيد أدب الوصايا؛ الذي يتطلب الولوج مباشرة إلى عقل الموصَى وقلبه، وإفساح المجال لإظهار العاطفة، والتي قد يزاحمها الزينة اللفظية أو تغطى عليها؛ فالتأثير أو الإقناع في أدب الوصايا أساسه الأول العاطفة، والعاطفة الصادقة؛

والتي يجب أن تبرز من ثنايا الكلمات، ولا سبيل إلى إبرازها إلا بالتخلي عن كل ما من شأنه أن يحجبها ويعمي عليها.

كما لائم هذا الأسلوب الوصية من ناحية أخرى؛ وهي أن الوصية تُكتب في الغالب في مرض أو سفر أو ما شابه ذلك، وهذه أوقات شدة وضيق، لا تسمح في الغالب بأن يتفنن المرء في تزيين الألفاظه وتركيب المعاني؛ لذا ينصب التركيز على إيصال المعنى المراد إلى الموصَى، بأبسط عبارة، وأضح كلمة.

كل هذا، إلى جانب أن يهودا بن تبون لم يكن من دُعاة التّصنع والتكلف في الكتابة؛ وإنما كان، على نحو ما يظهر من وصيته، التي وجهها إلى ابنه شموئيل في هذا الصدد، من دعاة البساطة في التعبير، واستعمال الجمل القصيرة الواضحة، والبعد عن السجع إلا ما جاء عفوا[٨٠].

ثانيا: الاستشهاد بالشعر:

يحتل الشعر مكانة بارزة في وصية يهودا بن تبون، فهو يفتتح الوصية بقصيدة يحثّه فيها على التمسك بوصاياه، والتزام أدبه، ويعبّر عن حالته النفسية الحزينة، التي كانت تئن من وطأة الفراق، والبعد عن الأهل والولد؛ ومما يقول فيها:

קח מוסר אב מלב נכאב / לפרידתך כים הומה ...

נסהו אל בנדוד בנים / עד אין לו באבות דומה [٨١]

خذ أدب أب يئن من القلب / لفراقك كالبحر المصطخب

ابتلاه الإله بفراق الأبناء / حتى أنه ليس له في الأبناء مثيل.

كما أنه يبث وصيته كثيرًا من أشعار شموئيل هناجيد، الذي يكنّ له منزلة خاصة؛ فما من وصية عنده، إلا وهو يحاول جاهدًا، أن يؤيدها ببيتٍ من الشّعر، أو بأكثر، من ديوان "בן

[٨٠] ينظر: בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 69.

[٨١] שם، עמ' 54 _ 55.

משלי" "ابن الأمثال" لشموئيل هناجيد؛ فعلى سبيل المثال، حينما يوصي يهودا ابن تبون ولده بضرورة الاهتمام بدروسه، والعناية بكتبه نجده يسوق في نهاية الوصية بيتين لشموئيل هناجيد، تأكيدا لكلامه، يقول فيهما:

אשר יגע וקנה לו ספרים / ולבו מאשר בם רק ורקם

כפסח אשר חקק על קיר / דמות רגל ובא למקום ולא קם [٨٢]

الذي تعب واشترى له كتبًا / وقلبه خالٍ منها وفارغٍ

كالأعرج الذي نقش على الحائط / صورة قدم وجاء ليقوم فلم يستطع

ثم يمضي ابن تبون على هذا النحو في وصيته، لا يحيد عنه قيد أنملة، دون أن يفوت فرصة يمكن الاستشهاد فيها بأبيات من ابن الأمثال لشموئيل هناجيد، من أول الوصية إلى آخرها.

ثالثا: استعمال أسلوب النداء:

وقد درج الموصِي في هذا النوع من الأدب،خصوصا إذا كان من الأب لابنه، استهلال وصاياه بأسلوب النداء: "يا بُني"[٨٣]؛ وهي في العبرية "בני"؛ نظرا لخلو العبرية من أدوات النداء.

والنداء أسلوب طلبي، يُقصد به تنبيه المنادَى وحمله على الالتفات إلى المنادِي[٨٤]، أوهو طلب الإقبال[٨٥]، بمعنى: طلب المنادِي من المنادَى بالإقبال عليه.

---

[٨٢] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 58.

[٨٣] النورسي، روناك توفيق علي: وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٧٣.

[٨٤] المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، ص٣٠١.

[٨٥] الفضلي، عبد الهادي : مختصر النحو، دار الشروق، مصر، ط ٧، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٢٠٠.

ويحرص يهودا بن تبون على استعمال النداء قبل كل وصية لولده؛ حيث يستهل جميع وصاياه، بقوله: "בני" "يابني"؛ لتنبيهه لما سوف يُقال له، بأن يستجمع إدراكته وقواه الذهنية، ويركزها فيما سيلقى عليه تباعا؛ كما يحمل هذا الأسلوب الموصَى إلى الالتفات إلى أمر الوصية، وأن يترك كل ما يصرفه عنها نفسيا وجسمانيا، ويُقبل بخُلوص ذهن وصفاء نفس، لما سوف يُوصى به.

هذا فضلا عمّا للنداء هنا من وقع في نفس الموصَى؛ فليس ثمة صلة أوكد من صلة البنوة، وأدعى للصدق والثقة؛ ولذلك فإن التوجه باسمها هنا دليل دامغ في حد ذاته على صدق الأقوال وصحتها، وأنه لا يبتغي من ورائها سوى النفع والخير، بخلاف لو سرد له الوصايا بشكل مباشر، أو ناداه حتى باسمه مباشرة؛ وهذا كله أيضا أدعى لبعث الراحة والسكينة والطمأنينة في نفس الموصَى عند سماع الوصايا، وعند تنفيذها بشكل عملي.

فعلى السبيل المثال، يقول يهودا تبون لابنه شموئيل موجهًا إيّاه أن يُصغي لكلامه، وألا يتهاون في وصية، مما يوصيه به:

"בני! למצותי הקשיבה. ואל תפל דבר מכל הדברים אשר אצוך"[٨٦]. "يا بني! أصغ لوصاياي. ولا تترك شيئا من جميع كلامي الذي أوصيك به".

وحينما يريد أن يؤكد له على فضل بر الوالدين، حسن معاملتهما، يقول له: "בני! כבר ידעת כי הבורא לא פירש גמול על אחת מעשרת הדברים כי אם על כבוד אבות"[٨٧]. "يا بني! لقد علمت أن الخالق لم يذكر جزاء لواحدة من الوصايا العشر إلا على بر الآباء".

وعلى هذا النحو، يمضي ابن تبون في جميع وصاياه لابنه شموئيل، منطلقا من هذا النداء المحبب إلى القلوب، لجذب انتباه ابنه، وتوجيهه إلى تلك الوصايا بنفس خالصة وذهن صاف، لا يعكره شيء.

---

[٨٦] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 56.

[٨٧] שם، עמ' 56.

رابعا: استعمال أسلوب الأمر:

ويعدّ أسلوب الأمر مناسبًا، إلى حدٍّ بعيدٍ، لأدب الوصايا؛ وذلك لأن الوصية في حد ذاتها هي توجيه المتلقي إلى سلوك معين، يجب الالتزام به؛ كما أنها تأتي، في الغالب، من سلطة أعلى، وفي حالتنا من الأب لابنه، إلى من هو دونه سنًّا أو منزلةً أو تجربةً وتمرسًا في الحياة، إلى ضرورة فعل أمرٍ معينٍ أو الالتزام بسلوك معين، من باب الشفقة والحرص على نفع المتلقي.

ومن هناك حرص ابن تبون، على تقديم كثير من وصاياه، لابنه شموئيل، في صورة الأمر؛ كأن يطلب منه، على سبيل المثال، أن يستمسك بوصاياه ولا يخالفها، وأن يضعها نصب عينيه، فيقول له:

"למצותי הקשיבה... ושים מוסרי נגד עיניך ונוכח פניך. כי אז תצליח דרכיך ואז תשכיל."[٨٨]. "اصغ لوصاياي... واجعل تأديبي لك نصب عينيك وأمام وجهك. حينئذ تفلح سبلك وحينئذ تصير عاقلا".

وحينما يطلب منه أن يجدَّ ويجتهد في شبابِه وقبل أن تدركه الشيخوخة ويلحقه المشيب، فإنه يأمره قائلًا:

"השתדל בעוד ימי הבחרות והנערות. כל שכן אתה מתרעם מן השכחה. ומה תעשה לימי הזקנה שהיא אם השכחה؟"[٨٩].

"اجتهد وأنت لازلت في شبابك وصباك. حيث إنك تعاني من النسيان. وماذا ستفعل في الشيخوخة التي هي أم النسيان".

وحينما يطلب منه ألا يطلب النصيحة إلا من أهل الثقة، مأموني الجانب فقط، فإنه يأمره قائلا:

"התייעץ עם מי שתבטח באהבתו וחכמתו"[٩٠]. "تشاور مع من تثق في محبته وحكمته".

---

[٨٨] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 56.

[٨٩] שם، עמ' ٦٢.

خامسًا: استعمال أسلوب النهي:

ويأتي أسلوب النهي مقابلًا لأسلوب الأمر في الوصية؛ فهي ليست كلها أوامر، وإنما هي مقسمة ما بين الأمر الذي هو طلب فعل الشيء، والنهي الذي هو طلب عدم فعل الشيء.

ولا شك أن هذا التّنويع في الأسلوب مطلوب، لأسبابٍ كثيرةٍ أولها؛ لنهي الموصَى بالابتعاد عن السلوكيات والأفعال غير المقبولة، ولا يكون ذلك إلا باستعمال أسلوب النهي، وبيان ما في تلك السلوكيات من نقائص وعيوب. الأمر الثاني أن هذا التنويع أدعى لعدم النفور من الوصايا، والإقبال عليها؛ لما فيه من تشويق وإثارة مطلوبة، لحثّ المُتلقي على الإقبال على الوصايا بنفسٍ راضيةٍ مطمئنةٍ.

وأداة النهي في اللغة العبرية هي "אל"، يليها فعل في صيغة المضارع. ويستعمل يهودا بن تبون أسلوب النهي في كثير من وصاياه لابنه شموئيل؛ فعلى سبيل المثال، يطلبُ منه ألا يُثير نزاعًا أو عراكًا مع أَحد، فيقول له:

"אל תרב עם אדם. ואל תתעבר לריב לא לך. ואל תחלק עם העקשים אפלו בתלמוד תורה. ואל תתעקש אתה להחזיק בדעתך"[٩١]. "لا تتشاجر مع إنسان. ولا تغضب لنزاع ليس لك. ولا تختلف مع الظالمين حتى ولو في تعلم العلوم. ولا تصر على الاستمساك برأيك".

وحينما يطلب ابن تبون من ابنه، بأن يمتنع عن الوقوف في الشوارع، وعدم الجلوس في الطرقات، نجده يستعمل أسلوب النهي؛ قائلا له:

---

[٩٠] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 65.

[٩١] שם، עמ' 65.

"אל תעמוד ברחובות. ואל תשב במסלות. ואל תלך עם מי שלא תתכבד בחברתו"[٩٢]. "لا تقف في الشوارع. ولا تجلس في الطرقات. ولا تصاحب من لا تتوقر بصحبته". ويقول له في موضع آخر:

"אל תרבה לשוח במסלות ובדרכים. ואל תאכל בסעודה חוץ לביתך"[٩٣]. "لا تكثر التجوال في الطرقات والسكك. ولا تأكل على مأدبة خارج بيتك".

سادسا: تعليل الوصايا:

وينبع تعليل الوصايا من فرضية: أنه إذا عُرف السبب بطُل العجب، وأن ذكر علة الشيء، أدعى إلى قبوله والتمسك به؛ بخلاف ما لو ذكر بلا تعليل، ولا ذكر لأسبابٍ، تدعو المتلقي إلى قبول الوصية، أو الاقتناع بها؛ خصوصًا، إذا تعلق الأمر بوصية، يعتقد الموصِي بأنها بعيدة عن طبع الموصَى، ويظن أنه لن يستمسك بها؛ ولذلك فهو يلجأ إلى تقنية التعليل، لهدف اقناع المتلقي.

وأداة السببية، التي يُكثر ابن تبون استعمالها في هذا الصدد، هي "כי"؛ التي تأتي بمعنى: "لأنّ، بسبب، لأجل"؛ ومن ذلك على سبيل المثال، حينما يوصى ابنه شموئيل بالحرص على أن يكون سببا في ذكر أباه بالخير والفضل، في الحياة وبعد الممات؛ فإنه يُشدِّد عليه في هذا الأمر، ويعلله له بأنه ليس له من الأولاد سواه، يذكر به بعد وفاته؛ وهذا أدعى للأخذ بالوصية، والعمل بها؛ حيث يقول له:

"כי אין לי בן להזכיר בו שמי זולתך. וכי כל זכרי ותפארתי אינם כי אם בך"[٩٤] "لأنه ليس لي ابن سواك أُذكر به. ولأن كل ذكري ومجدي لا يكون إلا بك".

---

[٩٢] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 63.

[٩٣] שם، עמ' 78.

[٩٤] שם، עמ' 78.

المحور الثالث: الأثر العربي والإسلامي:

إن أول ما يلحظه المطالع للوصية هي أنها مشبعة بالروح العربية والإسلامية، وتكاد تنعدم فيها الروح الدينية اليهودية الشائعة في مثل هذا النوع من الانتاج الأدبي؛ فلا مجال هنا للاقتباس من المقرا على نحو ما كان يفعل كتاب اليهود في تلك الفترة، كما لا مجال هناك للاستشهاد بالمقرا ولا بغيره من كتب اليهود الدينية؛ إلا فيما ندر، في بعض المواضع القليلة جدا، في الوصية. والاتجاه العام للوصية، هو الاتجاه العقلاني، الأدبي، المشبع بالروح العربية والإسلامية؛ والتي تصل أحيانا –على نحو ما سيأتي– إلى حد الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة.

لقد كان لثقافة يهودا بن تبون الواسعة، واطلاعه على عيون الأدب العربي؛ خصوصا ما كان متعلقا بوصايا الكتاب، والأدباء، والخطباء، والشعراء، والبلغاء، أثره الواضح في هذه الوصية؛ وربما كان ذلك بحكم عمله في مجال الكتابة، وفي مجال التّرجمة من العربية إلى العبرية؛ وهذا يظهر جليا، عند حديثه عن الاهتمام بجودة الخط وتحسينه، وجودة الأحبار، والأقلام، والأوراق، وما إلى ذلك؛ كما يظهر أيضا، عند حديثه عن طريقة كتابة الحروف العبرية، وضرورة مساواة الأسطر؛ وهو ما أفاض فيه كتاب العرب كثيرا، على نحو الأصفهاني مثلا في كتاب: "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء"، وغيره من الكتب الكثيرة، التي صنفت في هذا الميدان؛ والتي اطلع عليها ابن تبون بلا شك، واكتسب منها أفكارا كثيرة، تمثلها في ثنايا هذه الرسالة؛ وفيما يلي سوف نلقي الضوء على بعض منها:

أولا: حينما يوصي يهودا بن تبون ابنه بالاستيقاظ من غفلته، وأن يحث السير إلى المعالي؛ فإنه يذكره بأنه لا يزال بعد حديث السن صغيرا، ومن الممكن أن ينصلح حاله ويستقيم أمره؛ فيقول له:

כי עדיין נער אתה. ואפשר שתתיישר אם יעזרוך מן השמים לתת לך חפץ ורצון...וכבר ראית מה שאמר הנגיד ז"ל، ב. מ' ....

ועץ רטוב בעודו לח תיישר / ולא תיישר לך קורה יבשה[٩٥]

"وأنت بعد صبيا، ومن الممكن أن ينصلح أمرك إن أعانك الله وأعطاك إرادة ورغبة... وقد رأيت ما قاله الناجيد في ابن الأمثال[...]

والغصن الأخضر يستقيم لك وهو لايزال طريا / ولا يستقيم لك الخشبة اليابسة

وهذا المعنى يتعالق نصيا مع ما ورد في كتاب "أدب الدنيا والدين" للماوردي، من أنه يجب على الأب أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب في صغره؛ ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر... وقال أحد الشعراء:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل / وليس ينفع بعد الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت / ولا يلين إذا قومته الخشب[٩٦]

كما أن بيت الناجيد الذي استشهد به ابن تبون هو تمثل لبيت الشعر العربي؛ بل إنه ناقل له بشكل حرفي؛ وهو تشبيه فترة الصبا بالغصون الغضة الطرية، التي يمكن تقويمها، وتشبيه فترة المشيب بالخشب الجاف اليابس، الذي يصعب تقويمه.

ثانيا: نجد ابن تبون، في جزء من وصيته لابنه شموئيل، يحذره من الجلوس في الطرقات والشوارع؛ حيث يقول له:

[٩٥] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 61.

[٩٦] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: أدب الدنيا والدين، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٣٧٠.

"בני! אל תעמוד ברחובות، ואל תשב במסלות"[٩٧]. " يابني! لا تقف في الشوارع، ولا تجلس في الطرقات".

وهذا تمثل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، برواية أبي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال محذرا من الجلوس في الطرقات: "إياكم والجلوس بالطرقات...إلخ الحديث"[٩٨].

ثالثا: حينما يحذر ابن تبون ولده، من مغبة الاعتماد على رأي الصبية والفتيان، وطرح مشور الشيوخ؛ نجده يقول له:

"ואל תסמוך על עצת הבחורים להניח עצת הזקנים"[٩٩]. "ولا تعتمد على مشورة الفتيان وتنبذ مشورة الشيوخ".

وهي نفسها الفكرة التي وردت عند الأصفهاني في كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء"؛ حيث يقول مادحا نصيحة الشيوخ: "عليك برأي الشيوخ فقد مرت على وجوههم عيون العبر وتصدعت لأسماعهم آثار الغير"[١٠٠].

رابعا: كما يستشهد ابن تبون أيضا ببعض الأمثال العربية في وصيته لابنه؛ فحينما يذكر أنه كان هو نفسه يطلب منه (أي من ابنه) أن يراجع له بعض ما يكتب من رسائل وأشعار؛ فإنه يقول له:

---

[٩٧] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 63.

[٩٨] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: مكتبة البشرى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ٢٧٦٦.

[٩٩] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 64.

[١٠٠] الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تهذيب: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، ١٩٠٢م، ص ١٠.

"כי מיום שהכרתי בך שאתה יודע מליצה ודקדוק לא עשיתי כתב שלא אמרתי לך, ראה אם יש בו להשיג או לתקן! כי הערב אומר، היושב על השפה שוחה"[١٠١]. "وأنت منذ أن علمت أنك تعرف البلاغة والنحو لم أكتب رسالة إلا وقلت لك انظر هل يوجد في ذلك ما يمكن تداركه أو إصلاحه! لأن العرب يقولون: الجالس على الشاطئ سباح ماهر".

وهو من الأمثال الدراجة في الأندلس؛ حيث ورد في "أمثال العوام في الأندلس": "الجالس على الغدير عوام"، ومن هذا المعني: "ما أفرس الجالس"[١٠٢].

خامسا: حينما يوصي يهودا ابنه شموئيل بزوجته خيرا، وبضرورة إحسان معاملتها، وألا يبخسها حقها؛ نجده يقول له:

"כל שכן אשת חיקך ובת גדולים אל תנהג לקלות ולבזות כי כן מנהג הפחותים, וחכם הערב אמר על הנשים לא יכבדם כי אם נכבד، ולא יבזם כי אם נבזה"[١٠٣]. "فما بالك بزوجتك بنت الأكابر؛ لا تستخف بها ولا تحتقرها لأن هذه عادة الناقصين؛ والحكيم العربي قال عن النساء لا يكرمهن إلا كريم، لا يحتقرهن إلا حقير".

وابن تبون يقصد بالحكيم هنا الرسول (صلى الله عليه وسليم)، وهو يشير إلى الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب، وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم"[١٠٤].

---

[١٠١] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 73.

[١٠٢] الزجالي القرطبي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ص ٦٢.

[١٠٣] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 78، 79.

[١٠٤] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١٣، ص ٣١٣.

ساسا: ومما يدخل في دائرة المؤثرات العربية أيضا، حث يهودا بن تبون ابنه على قراءة ورد عربي كل سبت؛ لما فيه من إفادة له، في قراءة الكتب العربية، وفي الترجمة؛ حيث يقول له:

"ולקרוא בכל שבת הסדר ערבי، כי יועיל לך במלות הספרים הערביים، ובהעתקה אם תרצה להעתיק"[١٠٥]. " وأن تقرأ كل سبت وردا عربيا؛ فإنه يفيدك في قراءة الكتب العربية وفي الترجمة، إذا أردت أن تترجم"

كما يوصيه، أيضا، بضرورة التقدم في دراسة اللغة العربية، ويبين له أن كبار اليهود، أمثال شموئيل هناجيد وغيره لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من المراتب الرفيعة إلا بفضل اللغة العربية؛ كما يذكره بالربي سست بن بنبنست، وهو من رؤوساء اليهود في إسبانيا المسيحية، لم يصل إلى ما وصل إليه من المجد والثراء؛ إلا بفضل معرفته الجيدة والعميقة باللغة العربية؛ حيث يقول له:

"ואתה יודע כי הגדולים שבעמינו לא הגיעו אל הגדולה והמעלות הרמות כי אם בכתיבת הערבי، כבר ראית מה שספר הנגיד ז"ל מן הגדולה שהגיע אליה בעבורה... ומה שהגיע בנו אחריו גם כן מן הגדולה בה، גם בארץ הזאת אתה רואה כי הנשיא ר' ששת ז"ל הגיע בה אל העושר והכבוד"[١٠٦].

" وأنت تعلم أن عظماء أمتنا لم يصلوا إلى العلياء والمراتب الرفيعة إلا بالكتابة العربية؛ وقد رأيت ما جمعه الناجيد من الرفعة التي وصل إليها بسببها ... وما وصل إليه ابنه من بعده من الرفعة بفضلها؛ كما ترى أيضا في هذه البلاد أن الرئيس ربي سست رحمه الله قد وصل بها إلى الثراء والمجد..."

---

[١٠٥] בר אברהם، ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל، עמ' 65، 66.

[١٠٦] שם، עמ' 59.

الخاتمة والنتائج

أولا: تعد الوصايا من الفنون النثرية، التي على الرغم من معرفة اليهود القديمة بها؛ إلا أنها لم تتبلور جنسا أدبيا، له سماته وخصائصه التي تميّزه، عن غيره من الأجناس الأخرى؛ إلا بعد احتكاك الأدب العبري بالأدب العربي في العصر الوسيط.

ثانيا: تعد وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل، من أبرز الوصايا التي كُتبت في الأدب العبري الوسيط، وأهمها على الإطلاق؛ وقد كتبها يهودا لابنه مدفوعا بدوافع كثيرة، منها سفر الأب وبعده عن ابنه؛ ومنها الإحساس بقرب المنية ودنو الأجل؛ ومنها أيضا المحبة والشفقة الزائدة، لأنه لم يكن له ولد آخر سواه.

ثالثا: تضمنت وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل مجموعة كبيرة من الوصايا التربوية العامة، التي تكفل له السعادة والنجاح في حياته الخاصة والعامة؛ منها على سبيل المثال حضه إياه على الابتعاد عن رفقة السوء، وعدم الجلوس في الطرقات، وأن لا يقضي أمرا قبل مشاورة أهل الثقة من الأصحاب، والبعد عن المشاحنات والمنازعات، وأن لا يقحم نفسه فيما لا شأن له به، وأن لا يتعصب لرأيه، وأن لا يخالف رأى الجماعة، وأن يعتمد على نفسه في كل أموره، وأن يحفظ الود، وأن يبر والديه، ويحسن إلى زوجته وأولاده ويحسن تربيتهم، وأن يكرم أصحابه وخلانه، ويصل رحمه...إلخ.

رابعًا: تضمنت أيضًا وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل مجموعة كبيرة من الوصايا التعليمية؛ منها على سبيل المثال، حضه إياه على المداومة على طلب العلم، والحرص على مراجعة كل ما يكتب، والاحتياط من الوقوع في الأخطاء النحوية والإملائية، والحرص على البساطة والبعد عن التكلف وعدم السعي خلف السجع، وأن يبتعد عن استعمال الكلمات والأوزان الغريبة في الشعر، والاهتمام بجودة الورق والقلم والحبر عند الكتابة، والاهتمام أيضا بحسن الخط وكتابة الحروف العبرية بطريقة سليمة، وتفقد الكتب والعناية بها وعدم الامتناع عن إعارتها مع الحفاظ عليها.

خامسا: تميزت وصية يهودا بن تبون لابنه شموئيل أيضا، بالعديد من السمات الفنية والأسلوبية؛ منها بساطة الأسلوب، والميل إلى استعمال الجمل البسيطة والقصيرة، والبعد عن الإلتواء، والتعقيد، والأفكار العميقة، التي تجهد الذهن، في فهم مغزاها؛ كما تميزت الوصية أيضا، بكثرة الاستشهاد بالشعر، واستعمال الأسلوب الإنشائي كالنداء، والأمر، والنهي، وما إلى ذلك.

سادسا: تأثر يهودا ابن تبون في وصيته بكثير من المؤثرات العربية والإسلامية، سواء من ناحية الشكل أم من ناحية المضمون؛ فمن حيث الشكل فإننا نجده يسير على نفس النمط الذي سار عليه العرب في صياغة وصاياهم، من نحو استعمال صيغ وتقنيات معينة، ظهرت عند دراسة السمات الفنية؛ أما فيما يتعلق بالمضمون، فهو متأثر إلى حد بعيد بالفكر العربي والإسلامي، نتيجة احتكاكه المباشر بهذا الفكر، واطلاعه عليه، بحكم معرفته الشديدة والقوية باللغة العربية.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر والمراجع العربية:

أ.الكتب:

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة، ، ج١٣، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تهذيب: إبراهيم زيدان، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، ١٩٠٢م.
- الإمام، سامي: الفكر العقدي اليهودي"موسوعة الجيب" أهم أسس الديانة اليهودية وعناصرها ومقدساتها، الرحمة للطباعة، ٢٠١٠م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مكتبة البشرى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- التطيلي، بنيامين: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، تقديم ودراسة: عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- الجندي،علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م.
- خفاجي، عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٥٨م.
- الزجالي القرطبي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د.ت.
- الفضلي، عبد الهادي: مختصر النحو، دار الشروق، مصر، ط ٧، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

- قنديل، عبد الرازق: شعراء العبرية في الأندلس، القاهرة، ٢٠٠٩.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: أدب الدنيا والدين، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
- مناع، هاشم صالح: النثر الفني في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- النجار(الدكتور)، محمد رجب: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.
- النورسي، روناك توفيق علي: وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الهروي، محمد بن أحمد بن منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٢، ط ١، ٢٠٠١م.

ب. المجلات والدوريات العلمية:

- رجب، مصطفى مصطفى أبوعتمان: ترجمتا شموئيل بن تبون ويهودا الحريزي لكتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون "دراسة مقارنة"، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ملحق المجلد ٣٥، ٢٠٢٠م.
- الفريح، سهام عبد الوهاب: الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٦، الرسالة ٣٢، ١٩٨٥م.
- الفريح، سهام عبد الوهاب: أدب الوصايا في العصر الإسلامي، المورد، وزارة الثقافة والإعلام – دائرة الشؤون الثقافية، مج ١٣، ع ٣، ١٩٨٤م.

- الملحم، غازي: من أدب الوصية، مجلة بيادر، نادي أبها الأدبي، ع ٥٦، ٢٠١٤م.

ج. الرسائل العلمية:

- بشري، بغدادي: الوصية في الأدب الأندلسي وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٠ / ٢٠١١م.
- رجب، مصطفى مصطفى أبوعتمان: كتاب المثل القديم لإسحاق بن سليمان بن سهوله "دراسة نقدية وترجمة"، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ٢٠١٤م.
- عبد المحسن، مناع حسن: المقامة بين العربية والعبرية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

ثانيا: المصادر والمراجع العبرية:

(א)

- תנ"ך
- תלמוד בבלי

(ב) ספרים:

- בן יצחק، יעקב : ויבא יעקב אל העין וישלח משה את ידו ויכתבהו בס' הזכרון כולל צוואת ר' יהודה אבן תבון، וצוואת הרמב"ם، ומשלי חכמים، הוצאם לאור ראשונה לכבוד יום זקוני אביו האהוב מה"רר יעקב בן הח' ר' יצחק، וישלחם במקום קרבן ראייה מאת אוצרות כ"י אוקספורד בנו הק' משה שטיינשניידר، ברלין، תר"ב.
- בן מימון، משה: ספר מורה נבוכים، בהעתקת שמואל אבן תיבון، בדפוס יצחק גאלדמאן، ווראשא، חלק 1، 1872.

- בר אברהם, ישראל בן ברוך: צואות גאוני ישראל, פילאדלפיא, החברה היהודית להוצאת ספרים אשר באמיריקא, חלק 1، 1926.
- הגדול، אליעזר: ספר ארחות חיים והוא צוואות התנא רבי אליעזר הגדול، הוא רבי אליעזר בן הורקנוס אשר צווה לבנו התנא רבי הורקנוס אשר למדו ארחות חיים، הוצאת הרב ירוחם ליינער، בהוצאת "עלים"، ניו–יורק، תש"ו.
- היימן، אהרון: תולדות התנאים והאמוראים، חלק ראשון، לונדון، תר"ע.
- עדעלמאן، צבי הירש: דרך טובים، מחברת קטנה כוללת מוסר אבות לבנים...، נעתקו ראשונה מכתבי יד בבית אוצר הספרים אשר בעיר אקספורד ויצאו לאור הדפוס עם העתקה בלשון אנגלי על ידי צבי הירש עדעלמאן، לונדון، תרי"ב.

ג. מילונים ואנציקלופדיות:

- אבן שושן، אברהם: המלון החדש "אוצר של הלשון העברית הספרותית، המדעית והמדוברת ניבים ואמרות עבריים וארמיים، מונחים בינלאומיים"،הוצאת קרית ספר בע"מ، ירושלים، כרך שלישי، 1979.
- אייזנשטיין، יהודה דוד: ערך (יהודה בן שאול אבן תבון)، אנציקלופדיה אוצר ישראל، ניו יורק: פרדס، תשי"ב، חלק א.
- מרגליות، מרדכי: אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל، כרך רביעי، הוצאת יהושע צ'צ'יק، תל–אביב، תש"י.

שוקרון، לידיה: ערך (צואה): האנצקלופדיה העברית כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנצקלופדיות בע"מ، ירושלים، תשל"ו.